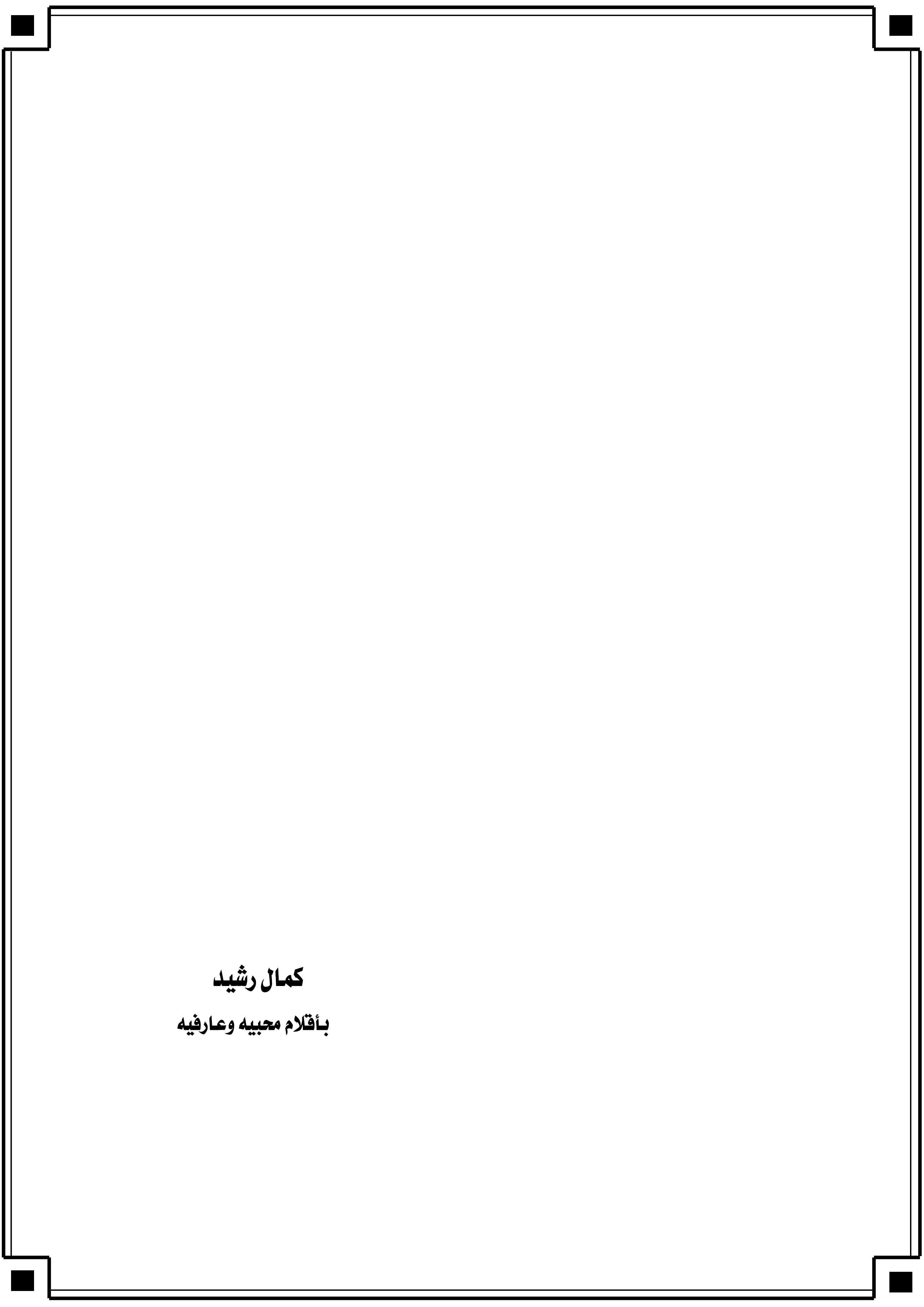


كمال رشيد

بأقلام محبيه وعارفيه

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/٣/١٠١٣)

٩٢٨,١
رشيد، بلال كمال
كمال رشيد: بأقلام محبيه وعارفيه/ بلال كمال رشيد._ عمان: دار المأمون، ٢٠٠٩ .
(٢٣٠) ص
ر.أ: (١٠١٣ / ٣/ ٢٠٠٩).
الواصفات: / الشعراء العرب/ / الأدباء العرب/ / التراجم/

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

كمال رشيد

بأقلام محبيه وعارفيه

الإهداء

إليكَ... وقد رحلت عنا إلينا

إلينا... لنراك حيا

لنعيشك حيناً... ونبكيك حنينا

إلينا

وقد كتبنا بعض ما كنتَ فينا.... فهل وفينا؟!!!

بلال كمال رشيد

تقديم

كمال رشيد رجل فقدناه

عبد الله الطنطاوي

وقد يسأل سائل: وماذا في فقد رجل؟فنحن نواري الثرى مئات الرجال في كل يوم، وقد يستشهد بقول المعري الحكيم:

صاحِ هـذي قبورنـا تمـلأ الرُّحـب   فـأين القبـور مـن عهـد عـاد؟!.

ويغيب عن ذهن هذا السائل: أن رجلنا هذا هو كمال رشيد، وليس غيره من أولئك المئات بل والآلاف، فقد يكون رجل في أمة، وأمة في رجل.. ولهذا نحن نأسى ونبكي الرجال الرجال، في زمن عزّ فيه الرجال..

-١-

إنه الموت يعتام الكرام من الرجال، ويصطفي ما نحن في مسيس الحاجة إليه من البدور، في ليالينا الحاقية.. في ليالي غزة والضفّة والقدس التي يبيّت لها الأعداء ما يبيّتون من مكر الليل، وكيد النهار... من عدة وعدد... من أسلحة فتاكة... نووية، وفسفورية، وما لا يخطر إلا على بال شياطين أوروبا وأمريكا، ورأس حربتهم: الصهيونية المصنَّعة من ثقافة الكراهية، والأحقاد الدينية التاريخية، والإجرام الذي يتغيّا الفتك ببني البشر، وأولهم العرب والمسلمون، فيما العرب والمسلمون يعيشون بل يحيون حالة من العجز، والتخلف، والاحتراب البيني، ما يشمت الأعداء، ويميت الثكالى من الضحك... عدوّهم يبني المفاعلات النووية، والمصانع الحربية الثقيلة والخفيفة، وهم يبنون السجون والمعتقلات، ويُرْدون ذوي

العلم والعقل والحكمة فيها، يزجونهم في أقبائها المظلمة، ليموتوا في كل يوم عشرات المرات، تحت السياط التي هي أخفّ أنواع التعذيب، ومن ينجو بنفسه من هؤلاء، يلتحق ببلاد (برّه) ليأمن على نفسه وعرضه وولده، وليقدّم ما عنده لغير شعبه وأمته، وهذا ما يدعوه الناس: هجرة العقول العربية، وبها يكون الخسران المبين لأمتنا المنكودة الحظ بالعديد من أبنائها، كما هي منكوبة بأعدائها الذين تداعوا عليها من كلّ حدب وصوب.

عندما كنا نسهر الليالي الطوال مع غزة الصمود والعزة والجهاد والاستبسال. كانت صورة كمال رشيد ماثلة للعيان، أراها في أقلام الأحرار الذين يكتبون عن غزة، وعما تعانيه من وحشية وحوش البشر، حثالة البشر، أو شاب البشر، يقدم لهم أوباش البشر، من أصحاب الوجوه الصفر، والعيون الزرق، والشعر الأشقر، ويعينهم السُّود والسُّمْر... يقدّمون لهم ما يحرقون به غزة ومئات أمثالها... فأصيح: أين أنت يا أبا بلال؟ أين قلمك؟ أين قصائدك. ألا ترى ما يفعل المجرمون الآثمون بغزتك؟ بشيبها وشبابها، وبأطفالها ونسائها؟.

لقد عهدتك مقاتلاً عنيداً، ومنافحاً رشيداً عن أهلك وعرضك وأمّتك.. عهدتك وعهدك كل من عرفك، تقاتل بلسانك، وقلمك، وفكرك، وعقلك، وقلبك، ويدك ورجلك، بمواقفك، وفي مجالسك، ومحاضراتك، وقاعات المؤتمرات، والجامعات، والمدارس... مع طلابك، مع زملائك، مع أهلك وأقاربك وجيرانك.. فأين أنت الآن لتقف في وجه العاصفة، ولتشارك في الزلزال الذي ينتظر الناس بعد غزة؟ لا بد أن تشارك فيما بعد غزة، فلغزة ولياليها الفسفورية والنووية ما بعدها... فمن سيحشّد الحشود لها غير قلمك، غير شعرك يا شاعرها، وشادي آلامها وأحزانها، ويا مقيم لها معالمها وصُواها حتى لا تضيع في حراكها الجهادي، ولا تشوب مبادئها وقيمها شائبة تفد إليها من شرق أو غرب، بعد تكاثر المفترين عليها..

صحيح .. أنت دمث، هادئ، متزن، لطيف، مرح، وصحيح أيضاً أن لك غضبة الأسد إذا غضب، وصيال الفارس إذا صال وجال، والقدس في قلبك، وفلسطين كلها قدس... وهي الآن أشدّ حاجة إلى صولاتك وغضباتك، وإلى فكرك وتخطيطك وتقديرك، إلى جانب إخوانك... إخوان العقيدة ورفاق الدرب والمصير... إنهم يفتقدونك الآن... يفتقرون إلى الرجال من أمثالك... إلى من يبذل كل ما في وسعه من أجل غزة الأمل. والقدس الشريف، وفلسطين الغالية، التي يئن شطرها تحت وطأة الصهاينة المجرمين، ويستغيث شطرها الآخر من وطأة الأنذال... الأقصى يناديك يا أبا بلال، فهل أنت مجيب؟!.

إنها معركة الكرامة، كما هي معارك الحرية والتحرير..

ولهذا أنت وأصحاب النجدات، سوف تسمعون صيحات المستغيثين والمستغيثات: يا شموخ الإيمان في أهل الإيمان من الرجال..

- ٢-

إن كمال رشيد- تغمده الله بفيض رحمته ورضوانه- كان يحمل هموم أمته، وفي طليعتها هموم فلسطين وأهلها وقضيتها.. وقضية تحريرها من المغتصب الصهيوني، كما يحمل هموم نفسه،وأسرته الصغيرة.. وهذا ما نطالعه في كل ما كتب من شعر ونثر، وما كنا نطالعه في أحاديثه، وما كنا نقرؤه في عينيه الساجيتين الحالمتين بغد أفضل من هذا الحاضر البئيس التعيس الذي يبعثر الأمة وأحلام أبنائها، وكان حقّها أن تلتقي لتزن الجبال تخطيطاً للغد المأمول في تحرير الأرض، وتحرير العقول التي سكنتها سواكن تستعصي على الطرد بعيداً عن الله ودينه القويم.

كان بين التفاؤل والإحباط، وهو يعاني ما يعاني في تربية الأجيال.. إنه يريدها صاعدة إلى المجد، ويأمل فيها الخير لمستقبل الأمة التي تفتقر إلى الرجال. فيسعى إلى بناء الرجال، وتأليف الرجال، وتربيتهم ليكونوا كما ينبغي لهم أن يكونوا، من أجل التحرير والبناء، وقد يصاب بالإحباط مما يرى من انصراف الكثير من الشبان والشابات إلى الفثاثة والفثائية، هرولة وراء حمّيا الشهوات والمال، والاقتتال على سفاسف الأشياء وتوافه الأمور. وهذا ماكنا نسمعه في بعض مجالسه، ونطالعه في بعض شعره ونثره، وهو الأديب المفكر، والأديب السياسي، والأديب الإعلامي، والأديب الداعية إلى الإسلام وما فيه من خير، وكله خير للبلاد والعباد...

إن عمل الدكتور الرشيد في المناهج، والتخطيط، أضاف إلى حياته الأدبية والفكرية إضافات مهمة، وأكسبه خبرات في التفكير المنظم. وفي التنظير، وفي العمل بوعي ممنهج، فكانت طريقه لا حبة في الوصول إلى ما يريد الوصول إليه، فلا يخبط خبط عشواء، كدأب كثير من الأدباء والشعراء والفنانين، بدعاوى سخيفة حيناً، مبتذلة في أكثر الأحيان.

- ٣-

كتب أصدقاء الفقيد الحبيب كمال رشيد في هذا الكتاب عن بعض ما عرفوه فيه من سجايا وشمائل وقيم، ويا ليتهم ويا ليت أصدقاءه وعارفيه وزملاءه وتلاميذه وأهله يكتبون كل ما عرفوه عنه، لتنشر في رسائل وكتب، أو لتقدَّم إلى نجله بلال- الواعد بالكثير- من أجل اكتمال صورة الكمال الرشيد، بأبعادها الحسية والمعنوية... النفسية، والجهادية، والكفاحية، والعلمية والأدبية..

لو تهيأ لنا هذا، لأفاد الناس منه علماً، وأدباً، وتجارب حيوية، ولما ضاعت أخباره، ونُسيت أعماله، ولما استطاع أحد الافتئات عليه، ولحفظ لهذه الأمة أخبار رجالها، ولعرفه من لم يعرفه ولم يلتقه.

إنني- في هذا التقديم لهذا الكتاب المهم- أود أن أقترح على نجله الدكتور بلال، أن يبادر إلى جمع آثار أبيه- رحمه الله تعالى- من الصحف، والكتب، ومن سائر وسائل الإعلام، وإلى تقصي أخباره من أصدقائه، ومعارفه، وتلاميذه، وزملائه، وأهله، وجيرانه بزيارتهم، والجلوس إليهم، ومحاورتهم حول ما يعرفونه عنه، رحمه الله.

هذا الكتاب خطوة في الطريق الصحيح، أرى أن تتلوها خطوات، فأدعو بلالاً إلى جمع الآثار المخطوطة والمطبوعة لوالده المعطاء، وإصدار (ديوان كمال رشيد) الأعمال الشعرية الكاملة، في مجلد واحد، وجمع آثاره النثرية، وإصدارها في مجلد أو مجلدات، وأعماله التي كتبها لفلذات الأكباد.. بحيث لا يفلت منه عمل واحد،

وأرجو من الأدباء والكتّاب والشعراء، المساعدة في ذلك.

كما أرجو طلبة الدراسات العليا في الجامعات العربية والإسلامية، أن يبادروا إلى تسجيل رسائل عن كمال رشيد الشاعر، وكمال رشيد كاتب الأطفال، وكمال رشيد الداعية، وكمال رشيد السياسي، وهكذا.. ولعل الدكتور بلالاً يعين الدارسين بجمع آثار والده رحمه الله تعالى... فهل من مجيب؟

أرجو ذلك، ولعلي ولعلنا نؤدي حقّ أخينا الحبيب علينا، بل بعض ما له حق علينا، وعلى الأدباء، والدعاة، والأصدقاء، والأقرباء، والسلام عليك- يا أخي الحبيب – في الخالدين.

عمان: ١٧/ ٢/ ١٤٣٠هـ.

١٤/ ٢/ ٢٠٠٩م.



كمال رشيد كما عرفته
مربياً وباحثاً وشاعراً

الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

ولد كمال عبدالرحيم رشيد عبد الفتاح عام ١٩٤١م في "الخيرية" من ضواحي "يافا" على الساحل الفلسطيني، وذاق مرارة اللجوء في طفولته الأولى وهو ابن السابعة من عمره عام ١٩٤٨م، عندما استباحت عصابات الصهاينة يافا وحيفا وعكا واللد والرملة، والخليل وشمال فلسطين وبقية الساحل الفلسطيني. وتدفقت جموع اللاجئين الهائمين على وجوههم، في كلِّ اتّجاه.

وكانت وجهة كمال مع عائلته إلى نابلس، بانتظار العودة، أياماً، إلى منزلهم وقريتهم الجملية "الخيرية" من ضواحي "يافا" عروس البحر وميناء فلسطين. وكانت "يافا" عبر التاريخ الإسلامي ثغراً من ثغور المسلمين، وأرضَ "رباط" يقصدها المجاهدون من مختلف ديار الإسلام، يستقرون فيها مع عائلاتهم، للقتال وردِّ الغزاة، ويرابط فيها العلماء للتدريس ونشر العلم وتثقيف عامة الناس في حلقات الدرس وفي المساجد، وكانت يافا ثغر الدفاع عن القدس الشريف، مسرى الرسول- ﷺ-، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهي في "رباطها" امتداد للرباط في القدس، حيث المرابطون يستقرون مع عائلاتهم في الضواحي الممتدة إلى بيت لحم وحلحول وخليل الرحمن. وجاء المرابطون مهاجرين هجرة جهادٍ واستقرار... وكان للمغرب الإسلامي دور مهم في الرباط والجهاد في القدس، لا سيما في زمن الحروب الصليبية والقرون التي أعقبتها...[١] كان وجهة كمال مع عائلته إلى نابلس، وعندما

---

(١) إنَّ حيَّ المغاربة الذي يقع جنوب شرق القدس، على مقربة من "حائط البراق" ويسميه اليهود "حائط المبكى" خير شاهد على ذلك، فقد هدم الصهاينة هذا الحي وعفَّوا على آثاره بالكامل، بعد احتلالهم القدس في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م.

طالت الأيام، تجمعوا في مخيم للاجئين، حيث ذاقوا مرارة العيش وألم الجراح وهوان الأمة ... وما إن أكمل دراسته الثانوية في نابلس، حيث اجتاح جيش الصهاينة بقية فلسطين في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م، وسقطت القدس كلها صريعةً ثكلى، بأيديهم تشكو إلى باريها هوان الأمة العربية وتخاذلها وتمزقها...!! وقبل زوال الشمس من ذلك اليوم المشؤوم، كان الصهاينة قد استطاعوا أن يدفعوا جموع اللاجئين شرقاً، فاجتازوا النهر إلى الضفة الشرقية منه، تصحبهم كثير من العائلات الفلسطينية الأخرى، في تشريد جماعي وقسري، أطلق عليه فيما بعد اسم "النزوح"... واختلطت المفاهيم بين "لاجئ" و "نازح" و "مقيم"... وبين "نكبة" و "نكسة"... وتفننت هيئة الأمم المتحدة!! والأعداء المهيمنون عليها، بوضع المصطلحات، وكان حظ "كمال" وذويه اللجوء، مرة أخرى، ولكن في هذه المرة إلى عمّان... والعيش في مخيم اللاجئين... مبتدئاً أبجدية اللجوء من حروفها الأولى...!!.

كان عليَّ في هذه السطور القليلة أن أشير إلى تلك الأحداث الكبيرة المرة، إذ لا يمكن فهم فكر كمال وشخصيته، ولا يمكن فهم شعره وأدبه، بمعزلٍ عنها... لا أريد في هذه الكلمة أن أتحدث عن سيرة أبي بلال- رحمه الله-، ولم يكن في وكدها أن أقيم دراسة لشعره وأدبه، ولكنني أبغي أن أسجِّل بعض الخواطر والأفكار التي نشأت عن علاقة شخصية في التعرف إليه باحثاً ومربياً وشاعراً... فقد كان، رحمه الله، عضواً في "الفريق الوطني" الذي كان يجتمع في مجمع اللغة العربية الأردني، بصورة دورية، ولعدة سنوات من أجل وضع كتب اللغة العربية المدرسية... وكان مجمع اللغة العربية الأردني قد أخذ على عاتقه بالاتفاق مع وزارة التربية والتعليم أن يضع كتب اللغة العربية لطلبة مرحلة التعليم الأساسي على أن يعقبها كتب مرحلة التعليم الثانوي. وكنت باعتباري رئيس المجمع حريصاً على المشاركة في جميع الاجتماعات... ومُناقشة كلّ نصٍّ، تقدمه لجنة وضع "الكتاب"، لغوياً وأدبياً وتربوياً، وذلك في إطار المنهاج الذي أقرَّته وزارة التربية والتعليم، وبعد الانتهاء من مناقشة "مشروع الكتاب" يقدَّم إلى "اللجنة العليا" في المجمع، لتلقي عليه النظرة الشاملة،

وبعدئذٍ يرسل المشروع إلى وزارة التربية والتعليم كي يقرَّه "مجلس التربية والتعليم" بحضور مقرر اللجنة المتخصصة التي وضعت الكتاب... كان كمال رشيد عضواً متميزاً في الفريق الوطني، يناقش بهدوءٍ، وقد يقترح نصاً آخر يرقى بقيمته الأدبية والفكرية إلى إجماع الفريق، بعد مناقشاتٍ واقتراحات جادة يشارك فيها جميع الأعضاء، في أجواء من حرية الفكر، لا يحدُّها إلا الحرص على حسن الاختيار وعمق التحليل وصدق الانتماء... وكان، رحمه الله، بأسلوبه الجميل وبأدبه الجمِّ وتواضعه، حريصاً على أن لا يجلب الانتباه إلى شعره... وكان ديوانه الأول "شدو الغرباء" قد صدر قبل ذلك بعدة سنين؛ ومما يجدر ذكره أن الفريق الوطني للإشراف على تأليف كتب اللغة العربية المدرسية، لمرحلة التعليم الأساسي، قد تألف عام ١٩٨٩م، واستعنا بأبي بلال- رحمه الله- بصفته الشخصية من ذوي الخبرة والدراية على المستوي الوطني... وكان ذلك اختياراً موفقاً.

وقد استمر عملنا سويةً حتى عام ١٩٩٤م، إذ رأت وزارة التربية والتعليم لأسباب غير معلنة، أن تأخذ على عاتقها بصورة مباشرة تأليف كتب اللغة العربية لمرحلة التعليم الثانوي!!!.

وتوقفت الصلة بيننا إلا ما كنت أقرأ له من قصائد رائعة، ومن مقالات صافية العقيدة والاتجاه، في صحيفة الرباط الأسبوعية، عندما كان "أبو بلال" يتولى رئاسة تحريرها في الفترة ما بين ١٩٩٢- ١٩٩٤م. وفي صيف عام ١٩٩٦م، جاءني كمال يحمل إليَّ نسخة من الرسالة الجامعية التي تقدم بها للحصول على شهادة الدكتوراه من الجامعة الأردنية، تحت عنوان: "الترادف في القرآن الكريم"، وكان قسم اللغة العربية بالجامعة قد ندبني مع زملاء آخرين لمناقشة هذه الرسالة.

قرأت الرسالة، وجرت المناقشة العلنية، وقد جلب انتباهي أنني أمام أديب لغويٍّ باحثٍ صاحب رأي. فكان حريصاً على تتبع الروايات من مصادرها، ومناقشتها ويعرض الآراء المختلفة ولا يكتفي بترجيح رأي على رأي، وإنما في بعض الأحيان يعرب عن رأيه، وقد يتفرّد به... ولا شكّ أن هذا يعود إلى تمرُّس

باللغة ونضجٍ في التفكير وشاعرية موهوبة، وأديبٍ ملتزمٍ عقيدة وقضيةً... بات يخطو في أواخر الخمسينيات من العمر...

كان كمال – رحمه الله- ملتزماً بالإسلام السمح عقيدةً ومنهج حياة، وشعراً رقيقاً قد وهبه للقدس، مسرى الرسول – ﷺ –، وثالث الحرمين الشريفين، ولمسقط رأسه في "الخيرية" من ضواحي يافا، أرض الرباط والجهاد. فكانت دواوينه الأربعة خير شاهد على ذلك... إذ يقول في مقدمة ديوانه "القدس في العيون":

حسبي من الشعر أنْ مجدتُ أوطاني   سَجَّلت ما شاده بالعزم إخواني

هذي فلسطينُ والأفعالُ شاهدةٌ   تقودها للعلا آياتُ قرآني

هو الجهادُ سبيلُ المسلمين ولا   ينأَوْن عنه، وفيه الأحمرُ القاني

إلى أن يقول:

لكنَّ أهل التقى والحقِّ ما عرفوا   إلا الطريقَ إلى جنَّاتِ رضوانِ

وربما كان من المفيد والحق في هذه الكلمة العجلى أن نتوقف ملياً عند هذه الدواوين الأربعة التي بين أيدينا وهي: "شدو الغرباء" و"عيون في الظلام" و "القدس في العيون" و "نسائم الوطن"، ولا شك أن شعراً وافراً قد تركه أبو بلال، رحمه الله، بعد هذا الديوان الأخير الذي صدر عام ١٩٩٧... وعسى أن ينشر في قابل الأيَّام كاملاً... فقد تعرضت الأمة وقضيتها الأولى فلسطين إلى أحداثٍ جسامٍ تهزُّ الضمائر الحيَّة والمشاعر الصادقة، وباتت هوية الأمة ممثلة بلغتها وعقيدتها ومقدساتها أهدافاً للغزاة المستعمرين، استيطاناً وتدميراً ونهباً للثروات وإذلالاً لشعوب الأمة العربية والإسلامية في مختلف أقطارها، وزرع الفتن بين أبناء الشعب الواحد... ويا لها من مرارة في نفس شاعرنا أبي بلال، وهو يرى الإخوة الرازحين

تحت الاحتلال، يتقاتلون فيما بينهم، ويكيد بعضهم لبعض... والاحتلال الصهيوني ماضٍ في تهويد القدس، وبناء المستعمرات، وقضم البلاد وقتل النساء والأطفال والشيوخ. وهدم البيوت وخطف الرجال والشباب... ولم يبرح الصهاينة أساطيرهم القديمة من النيل إلى الفرات...!!.

رحم الله الشاعر المربي أبا بلال رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه، فقد كان مربياً صاحب عقيدةٍ سامية في حياته العملية كما كان في حياته الأدبية، وقد اتخذ من فنه الشعري أداة للتعبير عن مشاعره الصادقة ووسيلة للتواصل مع جماهير الأمة، ومسرحاً لتربية الناشئة، وإعداد شباب الأمة مجاهدين عائدين لغسل العار وإطفاء حريق المسجد الأقصى الذي ما زال يتلظى في مشاعره ويثأر للتشريد واللجوء...!!

وإنَّ نظرة عجلى في دواوينه الأربعة، تكشف لنا عن هذه الخيوط المتصلة في نسيج شعره في مراحله الفنية وعبر الزمان وتطور الأحداث للموضوع الوحيد الذي وهبه حياته مربياً وشاعراً حيث يقول في ديوانه الأول:

فلسطينُ حبّي ما حييتُ وإنني ... سعيدٌ بهذا الحبِّ ما طالَ بي عَهْدي

وهو في هذا الديوان يعبر عن مرحلة التشاؤم، فيصور هموم الحياة وشجونها... ويبكي فلسطين... وقد تغير حالها وتاه الشعب في مخيمات اللجوء... وفي ديار الغربة. إذ يقول:

مزَّقْتُ كلَّ قصائدي الأولى ... أبليتها مِنْ قبل أن تَبْلَى

إلى أن يقول، وقد ضاقت به الحال:

وكمـــا يمـــوتُ الصـــدقُ في زمـــني   **مـــاتَ القصـــيدُ ولامـــس الـــوحلا**

ويرى نفسه عاجزاً أمام ما أَلَمَّ بالأمة من جراح:

وأرى مَصـــــارِعَ أمتـــــي تبعـــــاً   وجروحهـــــا لا أملـــــك الحـــــلاّ

ويتذكر الماضي الزاهر وما آل إليه الحاضر الذليل، فيقول:

ماذا دهـى الصِّـيدَ الأبـاةَ وقـد غـدت   أوطـــانهم للخصْـــمِ كالأســـلابِ

والأهلُ أضـحوْا في الخيـامِ، سـيوفُهم   خشبٌ وفي الأوطـانِ صَـوتُ عـذابِ

ولكنّ الشاعر، وفي هذه المرحلة المظلمة، لا يفقد الأمل، إذ يقول:

رغـمَ ارتكـاسِ الحـالِ رغـم تشـرّدي   رغـــم اعتـــزال عقيـــدتي وكتـــابي

سَـــيظلُّ وجهـــي مُشْـــرِقاً بيقينـــه   بشـروقِ شمـسٍ بَعْـدِ طـولِ غيـابِ

وتهزُّ انتفاضة " أطفال الحجارة" مشاعر أبي بلال، فيقول:

وأنَّ أطفالنــا في القــدسِ قــد كَبُــروا   وأنهــم مِــنْ لبــانِ المجــدِ قَــدْ رَضــعوا

أطفــالُ "غــزةَ" مــا لانــوا ولا جَبنُــوا   صِغارُ "نابلس" ما خاسوا وما خضـعوا

وفي المخــيمِ آيــاتُ الجهــادِ عَلَــت   لبّى الشبابُ نـداءَ الحـقِّ حـين دُعـوا

وكان حادثُ حرق المسجد الأقصى على أيدي الصهاينة، قد أثار شجون الشاعر وآلامه إذ يقول:

يـا ثالـثَ الحـرمينِ حَرقُـك نكبـةٌ فيهـا يزيـدُ الجـرحُ والإيـلامُ

يـا مـوطنَ الإسـراءِ خصـمك غـادرٌ وسـبيله التقتيـلُ والإجـرامُ

إنْ يحرقـوك فلـيْسَ ذلـك بدعـةً في ديـنهم بـل إنّهـا الأحـلامُ

إلى أن يقول:

أسفي على الأقصى وقدْ عبثـتْ بـه نـارُ العـدوِّ وقـدْ عـلاه قَتَـامُ

أسـفي علـى الإسـلام يَنْـزِفُ جُرْحـه والمسـلمون عـن الجهـاد نيـام

ويربط هذا كلَّه بالصورة التي وصلت إليها الأمة، ويتفجر قائلاً:

في كـلِّ أرضٍ مـن ديـارِ محمـدٍ ذُلٌّ يـرادُ وفُرْقَـةٌ وخِصَـامُ

فالديوان الأول للشاعر، إرهاص، بما ستتفجر ينابيع الشعر في دواوينه اللاحقة... وإن صورة اللجوء وهو ابن سبع سنوات، كانت تغذي شاعريته، على مدى الأيام، فبعد أن يتحدث عن الجور والبعد القسري عن قريته في ضواحي يافا، حيث مدارج الطفولة يقول:

سَـبْعٌ مـن السّـنواتِ فيـك أقمتهـا وكـأنني متّعـتُ فيـك شـهورا

وأتـى عليـك الغاصـبون و أدلجـوا راعـوا الصـبايا، واسـتباحوا الـدورا

ولئن جاء ديوانه الأول، على حدِّ تعبيره متعدد الأغراض، تعدد أوجه الحياة، وهمومها وشجونها في النفس والأسرة والوطن وفلسطين، فقد جاء ديوانه "عيون في

الظلام"، يتحدث في معظم قصائده، في جراح الأمة في فلسطين ولبنان وفي غيرهما من أقطار العروبة والإسلام، ويعبر عن وهج نداءات الروح وأشواقها ليوم مشرق يعيد للأمة الثكلى حُليَّ العزة والكرامة... وأوقف ديوانه الثالث "القدس في العيون" على حالة من التعبد الصوفي في محراب الجهاد على أرض فلسطين... فجاء الديوان تمجيداً للبطولة والأبطال، وتسجيلاً لمواقف الشرف والإباء، وتعبيراً عن الأمل المرتجى بالنصر... إنه ديوان يحكي قضية فلسطين... بشاعرية أصيلة وفكرٍ ملتزم بعقيدة الإسلام وعزة المؤمنين، وبفنون من القول الجميل يجمع بين الأصيل والحديث، وينفذ إلى قيم الأمة، يحرك مشاعرها إلى مدارج السمو والرفعة، ومواجهة الأعداء... .

وجاء ديوانه الرابع " نسائم الوطن". وقد ظهرت الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م، لتراوح من حيث فن القول، بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة. ومقياسه في جميع الأحوال جمالية الشعر وموسيقاه، ومدى نفاذه وتفاعله مع جماهير الأمة. ويبدو الشاعر متفائلاً ومؤمناً بالنصر، وإن كانت هذه الرؤيا لم تفارقه في دواوينه الأربعة، على اختلاف في دفقات الأمواج ومسار الأحداث. يقول الشاعر في قصيدته " معالم النصر ":

والحــقُّ يحرســه قــومٌ إذا اتحــدوا   ولــيس تحرسُــه الأشــلاءُ والمِــزَقُ

يا أيها الجيلُ، جيـلُ النصـرِ موعـدكم   القـدسُ، غـزةُ، يافـا، فـارقبوا وثِقُـوا

ويشيد بأطفال الحجارة فيقول:

ألا يا صـغارَ القـدسِ صـرتم فوارسـاً   وثــورة أهــل الأرض صــرتم نبالهــا

وغـــزة تـــدري أنهـــا بشـــبابها   تـــروم عظيمـــاً، تســـتزيد نضـــالها

ويا أيها الشعبُ المقيمُ على الطّوى   لك اللهُ من بلوى أطقت احتمالها

ويقول في قصيدة أخرى يشيد بهؤلاء الصبية الصغار وقد علَّموا الناس العزة والإباء:

هُمُ الصغارُ ولكن عَزَّ شأنهم   همُ الفدى والردى والعزمُ والباسُ

قد علّموا الناس كيف الحقُّ ننزعه   من العدو، وكيف الظلمُ ينداسُ

ويجمع الشاعر أشتات عواطفه، ويعلي صوته مخاطباً الأهل غربي النهر، فيقول:

أيها الأهلُ غربَ نهرِ الأماني   أيها الثابتون خلفَ الحدودِ

أيها المبصرون في ليل ذلٍّ   أيها الصانعُون معنى الصمودِ

أيها الصابرون والصَّبرُ مُرٌّ   أيها الكاتبون سِفْرَ الخلودِ

أنتمُ الأهلُ إنْ أردتُ انتسابًا   أنتم في القصيد بَيْتُ القصيد

إلى أن يقول:

إنّ أرضَ الإسراءِ أرضُ جهادٍ   وهيَ دارُ الفدى عرينُ الأسودِ

وها هو يستوحي مكة في الحج، فيقول:

مِنْ وَحْيِ مكّةَ جاء الدمعُ هتانا   حُرًّا نقياً يزيدُ القلبَ إيمانا

ويخاطب جموع المسلمين حاثًّا على الوحدة، ورافعاً راية الإسلام الذي يأبى الذل؛ ويَمْقُتُ المتخاذلين والجبناء، فيقول:

ويـا جمـوعَ التُّقـى مـاذا لـو التقـتِ   الأيدي على الحقِّ تُصلي الكفر نيرانا

تعيـــد للقـــدسِ للإســـلامِ عزتـــه   وتجعل الأرضَ تحـت الخصـمِ بُركانـا

يـــا أيهـــا النـــاسُ إنَّ اللهَ يأمرنـــا   ألاّ نُقـــيمَ علـــى ذُلٍّ تَغَشَّـــانا

إنّ مسارَ الشاعر في دواوينه الأربعة، متواصل من حيث العقيدة والالتزام، لم تستطع بنيّات الطريق، ولا لقمة العيش، أن تفتّ في عضده أو تلوِّن انتماءاته أو تجذبه في متاهاتها... وها هو يتحدث عن حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فيقول:

فيهـــا تجمَّـــعَ فتيـــانٌ ذوو هِمَـــمٍ   صاروا لمـنْ يَبْتغـي دَرْبَ العُـلا مـثلا

ســـلاحُهْم عِـــزَّةُ الإيمـــان تـــدفَعهُم   إلى القتـالِ ليبقـى العـزمُ متَّصِـلا

سلاحهم أنَّ أرضَ القُدْسِ مُذْ عَرَفـتْ   نـورَ العقيـدةِ لم تقبـلْ بهـا بَـدَلا

أسـرى لهـا أحمـدٌ في ليلـةٍ عَظُمَـتْ   وسـار مـن قدسـها لله مُـرْتَحلا

ويعلن قيام "حماس" قائلاً:

قامـت حمـاسُ وجمـعُ القـومِ منخـرقٌ   وإذ بهـا هالــةٌ تسـتجمعُ السُّـبُلا

ويعلنها صريحة مدوّية قائلاً:

نرضـى الحيـاةَ بتشـريدٍ ومعتقـلٍ   أمـا الرضـى بمقـامِ المعتـدين فـلا

مضـى زمـانٌ أكلنـا فيـه لُقمتنـا   مِـنْ دمعنـا، وزمـانُ الـذُّلِّ قـد أَفَـلا

كـــان الجهـــادُ هِـــلالاً في بدايتـــه لكنـــه اليـــومَ بـــدراً صـــارَ واكـــتملا

نشر شاعرنا ديوانه الرابع هذا عام ١٩٩٧، وأما شعره بعد هذا التاريخ فلمّا ينشر في ديوان، ونحن نتطلّع كي يأخذ موقعه في هذه الفترة الصعبة من حياة أمتنا وما شابها من أحداث جسام، وغزو العراق وسقوط بغداد، وما تفتق من جراح الفرقة والفتنة والغزو والاحتلال الأجنبي على أرض فلسطين وفي لبنان وفي غيرها من بلاد العروبة والإسلام، ولنا الأمل الوطيد بأن يحرص أشبال أبي بلال- رحمه الله- على جمع أشعاره وقصائده جميعاً، وأن تجد طريقها للنشر، وإن الذي تحول الأيام وحدثان الزمن دون نشره اليوم، سينشر غداً... فقد دخل شاعرنا أبواب التاريخ، وغدا شعره وأدبه جزءاً من تراث هذه الأمة. رحم الله شاعرنا الدكتور كمال رشيد، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه الله خير الجزاء عن الإسلام وعن القدس وفلسطين وديار العروبة والإسلام.

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

١ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ

الموافق: ٥ حزيران ٢٠٠٨م

وجه الوفاء

★ شعر د. كمال رشيد

رحمة الله عليكَ
نحن لا نعلم عنكَ
كيف... أين.. فيم متَّ
أسرع الموت إليكَ
مشرقاً كالصبح كنتَ
صادق البسمة والدمعة كنتَ
ثابت الخطوة كنتَ
ثم غبت عن عيون المقعدين

* * *

يوم جاءتك تباشير الهزيمة!!!
نفرت منك دموع مثل حبات البَرَدْ
قلبك المخضل من هول الذي كان اتقدْ
ليس عيباً أن يكون الدمع في الذكرى الأليمة

* * *

وارتوينا من كؤوس النكبات
جُرْحِيَ الأول في أرضي كان
وسرى الرعب إلى كل مكان
وتوزعنا بصمت

* * *

ثم جاء النعي في الغربة، في دنيا الفراق.
مت فوق الجرح...
لم تستبق لا زوج ولا طفل شقاء
مت في ثوب الإباء
مت نجماً في سماء
لستُ أدري أينا الميت يا وجه الوفاء

كلمة وفاء لأخٍ حبيب

★ حسني أدهم جرار

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على سيد المرسلين نبيّنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد.

ففي شهر ربيع الأول من هذا العام الهجري الموافق في أواخر شهر آذار من هذا العام الميلادي فقدنا أخاً عزيزاً كريماً عزّ علينا فراقه... أرجو الله تعالى أن يتقبّله عنده في الصّالحين، وأن يُعلي منزلته في الجنّة، ويجمعَنا به في ظلّ رحمته...

عرفت الأخ الفقيد الدكتور كمال رشيد في مدينة نابلس منذ نصف قرن من الزمان في أواخر الخمسينات حيث كنّا نلتقي على حبّ الله وطاعته... وامتدت الصّلة والعلاقةُ الأخويّة بيننا إلى يوم الفراق... وكان الأخ الحبيب كمال طيلة هذه السّنين نِعْمَ الأخ الذي يتمتّع بصفات طيّبة كريمة، كانت تُشعرني بطيب معدن هذا الإنسان... وتورثُ الشعور العميق في نفسي بالمودّة والمحبة والاحترام... وتدفعني إلى الرّغبة في لقائه، والأُنس في الجلوس معه... فالأرواح جنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

كان هذا الأخ العزيز أديباً التزم الإسلام عقيدة ومنهجاً وسلوكاً في الحياة... كان كاتباً وصحفياً وشاعراً، وكان مربياً فاضلاً له دور كبير في تربية الشباب والناشئين وتوجيههم... وكان من الأدباء الذين حملوا همَّ القضية الفلسطينية... وكان بحق رمزاً من رموز التربية والثقافة، وأحد الوجوه الأدبية والفكرية في السّاحة الأردنية.

ولقد حَفِلت حياة أديبنا الدكتور كمال رشيد بنشاطات متنوعة كثيرة، في مجالات متعدّدة من مجالات العمل التربوي والإعلامي والأدبي والاجتماعي... فهو مؤلّف وشاعر وباحث، وكاتب صحفي، وكاتب إذاعي، وكاتب أطفال...

ففي المجال التربوي:

عمل الدكتور كمال معلماً في مدينة طولكرم، وفي منطقة نابلس، وفي مدارس الجزائر والمغرب العربي، وفي مدارس عمّان... وعمل في مديرية المناهج قرابة عشرين عاماً، رئيساً لقسم الكتب المدرسية، ثم رئيساً لقسم التحرير، والإذاعة المدرسية... وكان عضو الفريق الوطني لتأليف كتب اللغة العربية، ورئيس اللجنة الأردنية المحلية لمشروع " الرصيد اللغوي"، وعمل ممثلاً للأردن في لجنة البرامج التعليمية الموجّهة للطلبة العرب في الأرض المحتلة. وقام بتمثيل الأردن في عدد من المؤتمرات التربوية واللغوية والتعليمية... وعمل في جامعة الزرقاء الأهلية، وعمل محاضراً في كليات المجتمع، وفي دورات المعلمين في عمّان، وفي عام ١٩٩٥م عمل مديراً عامّاً للمدارس العمرية في عمان، وكان يمارس نشاطه التربوي والأدبي، ويقوم بتوجيه الأجيال وجهة سليمة تفيد الأمة والوطن.

وفي المجال الإعلامي:

قام بإعداد وتقديم برامج دينية من إذاعة عمّان لسنوات طويلة... وإعداد وتقديم برنامج ديني في إذاعة الكويت... وإعداد مسلسل اجتماعي من عدة حلقات ولعدة سنوات لإذاعة عمّان بعنوان "الأسرة السّعيدة"... وإعداد برامج تعليمية للمناهج الأردنية في مبحث اللغة العربية في إذاعة عمّان... وإعداد وتقديم برامج تعليمية للتلفاز الأردني. وعمل رئيساً لتحرير صحيفة الرّباط في الأردن، وكاتب مقال صحفي في جريدة الدستور.

وفي المجال الأدبي:

كانت له مشاركة في ندوات فكرية وأمسيات شعرية مختلفة، وقد شارك في مهرجان المربد الشعري عام ١٩٨٧م. وله تجربة ناجحة مع أدب الأطفال، فقد

أصدر لهم أربعة عشر كتاباً كان لها دورٌ وأثر في توجيههم.

والدكتور (كمال) أديب شاعر... قال الشعر في عدد من المجالات والمحاور... قاله في الوطن والعقيدة، والرِّثاء والشهادة، وفي النواحي السياسية والاجتماعية، وفي قضايا المسلمين وأمور الحياة، ونظم أناشيد للكبار والصغار، ووقف معظم شعره على القدس وفلسطين، وصوَّرَ به جوانب من المحن التي حلّت بشعب فلسطين، فتحدّث عن ظلام المؤامرات، والاحتلال والعدوان والخذلان...

مؤلفاته:

وقد صدر له عدد من الكتب والدواوين الشعرية، منها ديوان " شدو الغرباء"، و" عيون في الظلام"، و"أشواق في المحراب"، و"القدس في العيون"، و " نسائم الوطن"، وكتاب مجالس الإيمان، وكتاب (تأملات في السّنة)، وكتاب: الزمن النحوي في اللغة العربية" وهو في أصله رسالة الماجستير.

وللشعر عند أديبنا كمال مفهوم وضّحه عندما سأله أحد زملائه عن الشعر فأجاب:

يا سائلي ليس نظم الشعرِ قافيةً ... لكنّه حِكَمٌ تعلو وتزدانُ

لكنه العطرُ في الآفاق نبعثه ... لكنّه نغمٌ تمليه أحزانُ

وصورةٌ كطلوع الشمسِ في خجلٍ ... فيها من الحبّ ألوانٌ وألوانُ

وهو النّديرُ بِشَرٍّ إنْ عتا زمنٌ ... وجاس في أرضنا ظلمٌ وعُدوانُ

وهو السّبيلُ لتعبير لفيضِ جوىً ... إنْ ضيمَ في عيشهم أهلٌ وخلاّنُ

والشعرُ عندي شعرٌ لستُ أكتمه ... وغايةُ الشعرِ إحساسٌ ووجدانُ

ذاكم هو الشّعْر يَا مَـنْ جَئـتَ تسـألُني قلـــبٌ ووجـــدٌ وإشـــراقٌ وإيمـــانُ

وفي المجال الاجتماعي:

نظم شعراً ارتبط بالإنسان ارتباطاً وثيقاً – تعاملاً وتوجيهاً – ومن ذلك وصيته لأبنائه التي تناول فيها توجيههم دينياً وتربوياً ووطنيًّا، فقال:

أوصيك يـا ولـدي أن تُحسـن الأدبـا أن تألف الدّرس والتحصيل والكتبـا

وأن تكـــون تَقيّـــاً، نابهـــاً، يقظـــاً وأن تقـــدّم للأوطـــان مـــا وجبـــا

وأن تجعـل القـدس في العيـنين ماثلـةً ألاّ تكـــلّ إذا مـــا المعتـــدي غلبـــا

حـلّ الـدّخيل بـأرضٍ لـيس يعرفهـا وصاحبُ الأرضِ عن أوطانـه اغتربـا

لكنّمـــا أمـــلُ الأوطـــان فِتيتهـــا هـمُ السّـبيل لـردّ الحـق إن سُـلبا

الأرضُ أرضـــكم والعـــزم عـــزمكم فـــلا تكونـــوا لهـــا إلاّ كمـــا طُلبـــا

ولا تخــــافوا مماتــــاً إنّ عيشــــكم في مـــوتكم في ثراهـــا فتيـــة نُجبـــا

هـــذي عقيـــدتنا، تلكـــم موائلنـــا والحـرُّ عـن أرضـه لا يعـرف الهربـا

وقد تناول أدب الدكتور كمال عدد من النّقاد والأدباء، منهم: الدكتور عماد الدين خليل، والدكتور محمود إبراهيم، والدكتور مأمون جرّار، والدكتور عدنان حسّونة، والأستاذ محمد صالح حمزة... ومن هؤلاء من قدّم وعرّف بدواوينه الشعرية، ومنهم من كتب عنه في الكتب الأدبية، ومنهم من كتب في الصحف..

وكتبتُ عنه في كتاب "شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث" ، وفي كتاب " أدباء من جبل النار " الذي صدر عام ٢٠٠٧م.

وكان للدكتور كمال ارتباط بعدد من الهيئات والجمعيات... فكانت له صلة بالحركة الإسلامية... وكان عضوَ رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو رابطة الكتّاب الأردنيين، وعضو اتحاد الكتاب الأردنيين، وعضو جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، وعضو المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وعضو رابطة أدباء الشام، وعضو الجمعية الوطنية لرعاية الطفل، وعضو الجمعية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق، وعضو جمعية مكافحة التدخين، وعضو جمعية العفاف...

أرجو الله تعالى أن يكرمه ويجزيه كل خير على هذا الجهد والنشاط المتميز وأن يبارك له في أهله وذريته... وأن يجمعنا به في مستقرّ رحمته.

الدكتور كمال رشيد كما عرفته

★ د. عبد اللطيف عربيات

تتفاوت درجات الدقة في تسجيل سير الرجال في مدى المعرفة المباشرة والمبكرة والمستمرة على مدى واسع من الزمن، وكون الخواتيم متوافقة مع البدايات، ونهاية المطاف منسجمة مع المسير العام في هذه الحياة.

وفقيدنا الأخ الدكتور كمال عبدالرحيم رشيد من هذا الصنف الذي تكونت لي معه علاقة مباشرة من هذا المستوى الذي أَعتزّ به. وعرفته عن قرب في الميدان الحياتي العام؛ الرسمي والثقافي والإعلامي في العمل العام.

عرفت الرجل في ميدان العمل المباشر في مديرية المناهج في وزارة التربية والتعليم، في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي، وفي مواقع مختلفة في الوزارة. عرفت فيه الإخلاص والصدق والوضوح والانتماء للعمل.

عرفت فيه القدرة على العطاء في أكثر من ميدان، والنمو المتواصل في التحصيل المعرفي، فحصل على أعلى الدرجات العلمية، ومن أعرق الجامعات، وهو مستمر في أدائه المتواصل في ميادين الأدب والشعر والثقافة الإسلامية الملتزمة.

تختبر معادن الرجال بالمعايشة والتعامل المباشر في القضايا العامة والخاصة.

ومع تقلب الظروف وتبدل المصالح تحك المعادن، ويعرف منها الأصيل من الرديء. فكانت لنا هذه التجربة مع أبي بلال، فلم نر منه إلا الصدق والثبات على الحق، والاستمرار في العطاء في مسيرة حياته الزاخرة بالعطاء والانتماء.

وتعرف السجايا الحميدة في الرجال من حسن المعشر، والتعامل مع مستويات

الناس كافة، فكان التوافق وحسن العلاقة والانسجام بين الفكر والسلوك صفة ملازمة لمسيرة أبي بلال -رحمه الله-.

يعيش الناس كثيراً أو قليلاً في مقياس الزمن المحسوب عقوداً أو سنيناً وتنقضي الحياة، وتنسى مجرياتها وأحداثها، ويبقى للناس الذكريات والصور المحببة التي تذكر كلما ذكر صاحبها، وتتناقلها الأجيال بصورة ملازمة له، فصفة التفاؤل والمرح والنكتة المحببة صفات ملازمة لفقيدنا، نذكرها كلما ذُكِرَ، ونتبادلها ونقول كما روى، أو قال أبو بلال -رحمه الله-.

فكم كنا نمازحه في أشعاره، ونقول له لو كنت شاعراً لوصفت لنا كذا وكذا، وإذا به في اليوم التالي يأتينا بقصيدة معبرة أفضل مما طلبنا. ويوماً كان يستمع إلى تحليل لقصيدة له في إذاعة الكويت في البرنامج المدرسيّ، والمحلل يقول لعلّ الشاعر قصد كذا وكذا، فرد مازحاً: لا لم أقصد ما قالوا وعليهم أن يدققوا أكثر للوصول إلى ما أردت... فالفكاهة والمزاح المحبب كان يغطي به الجلسات المحببة مع الإخوان والأصدقاء.

لقد كان فقيدنا جاداً في مواصلة العلم والبحث والعطاء، وحقق الكثير مما أراد فكان الشاعر، والكاتب، والمفكر، والمحاضر الذي يعطي موضوعه الجدة والإضافات المميزة الهادفة. فكان رئيساً لتحرير جريدة الرباط صاحبة الفكر والانتماء، ومديراً عاماً للمدارس العمرية التي أسسها على قواعد واضحة من العلم والمعرفة والاختصاص، إلى أن أصبحت من المدارس التي يشار إليها في القطاع الخاص.

وهو في طليعة الأدباء والشعراء الإسلاميين الذين وضعوا أشعارهم وكتاباتهم في خدمة فكرهم، وأهدافهم العليا في مسيرة هذه الحياة.

وكانت النفس الرضية التي صاحبته في مسيرة حياته عنواناً لشخصيته المحببة، التي يذكره بها جميع من عرفه، أو قرأ له، أو تابع مسيرة حياته، وكان نعم الأب والأخ لأهله وذويه، وكان الصديق الوفي لكل من عايشه ورافقه في مسيرة هذه الحياة الدنيا، ولقي وجه ربه وهو على هذه الصورة السمحة الرضية، التي سعى لها، فكانت حسن الخاتمة التي يسعى إليها المؤمنون الصادقون، وأنت واحد منهم - بإذن الله تعالى- وليرحمك الله، ويفسح لك في جنانه، إنه سميع مجيب.

د. عبد اللطيف عربيات

شاعر يحمل هَمَّ الأمة

* فاروق بدران

عرفت (كمالاً) عند لقائي الأول به وهو يلقي أشعاره في أماكن متعددة بعد قدومه من الضفة الغربية عام ١٩٦٧ .

وعرفت " كمالاً في مجال العمل في مطلع السبعينات من القرن الماضي عندما كان مديراً لمكتب الكتب المدرسية التابعة لقسم المناهج والكتب المدرسية في وزارة التربية والتعليم.

لقد كان كمال مهندس الكتاب المدرسي بعد أن تعلم هذا الفن في بريطانيا في دورة متخصصة في إخراج الكتاب المدرسي.

وأخيراً، التقينا بعد التقاعد في جامعة الزرقاء الخاصة التي عملت فيها مديراً عاماً للإدارة وعمل كمال مديراً للعلاقات الثقافية والعامة.

لم يكن لقاؤنا اليومي يبدأ في الساعة الثامنة وينتهي بنهاية الدوام الرسمي. بل إن اللقاء يبدأ في سيارتي الخاصة في السابعة والربع صباحاً، وينتهي في السيارة نفسها.

والله أسأل أن يرحم كمال عبد الرحيم رشيد فقد كان الأخ والصديق والرفيق.

عبر عودتنا من الجامعة يومياً ومعنا بعض زملاء العمل. لم تكن سيارة لنقل الركاب بقدر ما كانت مقراً متحركاً لندوة تعقد عفوياً في السيارة. ندوة متعددة الثقافات فقد كانت الموضوعات شتى منها اللغوية والشعرية، والاجتماعية، والدينية لدرجة أن أصدقاء أحد الزملاء من ركاب السيارة لاحظوا التطور على

ألفاظه، وأفكاره، وثقافته فسألوه عن سر ذلك التغير، فقال لهم إنه من مناخ السيارة التي تنقلنا من الجامعة وإليها صباح مساء.

ما يهمني أن أذكره في هذا السياق، أنني أحطت علماً بكل ما كان يرويه في السيارة من أشعار وكان نتيجة ذلك بالنسبة لي أنني عرفت شخصيته من أشعاره وأقواله ودعاباته، فهو متميز بالدعابة يرويها في كل مناسبة.

وها أنذا أستجيب لطلب ابنه (بلال) الذي أكد أن مساهمتي في هذا الكتاب إضافة نوعية لمن أراد أن يدرس شخصية (كمال). هذه المساهمة تبين صفاء النفس وصدقها في علاقته بالأسرة، والأهل، والوطن إلى جانب إشراقة هذه النفس وهي تتخذ الإسلام مساراً للحياة، ولتحرير الأرض.

كمال رشيد يحلق في الكون:

لا بد للشاعر أن يحلق ليستكشف بعض ما في الكون، لذلك خاطب الذي يستمر في الشكوى من الأهل والأجيال. يدعو (كمال) هؤلاء إلى أن ينظروا إلى الدنيا على أنها جميلة:

قُـــمْ وانظـــرِ الـــدنيا بقلـــبٍ مـــؤمنٍ

تجـــدِ الوجـــودَ لـــدى الجميـــلِ جمـــيلا

فالشـــمسُ والقمـــرُ المـــنيرُ وحولـــه

الأفـــلاكُ تجـــري لا تطيـــقُ أفُـــولا

والطـــيرُ فـــوق الغصـــنِ يبعـــثُ صـــوتَه

لحنـــاً نـــديّاً بكـــرَةً وأصـــيلا

والـــروحُ في الإنســـانِ تزخـــرُ بـــالمنى

ترتـــــادُ كونـــــاً رائعــــــاً مجهـــــولاً

يـــا روعـــةَ الكـــونِ العظـــيمِ وحســـنه

كـــــوني لروحــــــي هاديـــــاً ودلــــــيلاً

إن هذا الشعر يتفق مع ما أشار إليه أمير الشعراء أحمد شوقي الذي يرى أن الشعر يجب أن يكون ذكرى وعاطفة فيقول:

والشـــعرُ إنْ لم يكـــنْ ذكـــرى وعاطفـــةً

أو حكمـــــــةً فهـــــو تقطيـــــعٌ وأوزان

كمال الأب الحاني:

يبدو لي عند قراءتي قصيدة (أبنائي) في ديوان (كمال) (شدو الغرباء) أنه دخل البيت متأخراً فرأى أبناءه وقد ناموا جميعاً فخاطبهم بهذه القصيدة.

لقد رأى في أبنائه النائمين أمامه، أنهم الرجاء والأمل، وهم الظل، وهم النغم الذي يطرب الآباء.

هذا شعور نجده عند كل أب وأنه موقف واحد، أورده أحد الشعراء السابقين الذي قال:

وإنمـــــــــا أبناؤنـــــــــا بيننـــــــــا

أكبادنـــــــا تمشـــــــي علـــــــى الأرض

لــــو هبـــت الـــريح علـــى بعضـــهم

لامتنعـــــت عـــــيني عـــــن الغمـــــض

إنّ المعنى نفسه يتكرر عند كمال:

لــــو أن ريـــحَ الصَّـــبا مَسّـــتكمُ بـــأذى

لقلـــت يـــا ريـــح لا تـــزري بأبنـــائي

في هذا الموقف نجد (كمالاً) يناجي أبناءه فيقول:

نــــاموا هنيئــــاً لكـــم نـــوم وعافيـــة

فــــأنتمُ عُـــــدّتي أنــــتم أحبـــــائي

أنـــتم رجـــائي إذا مـــا خـــانني زمـــن

وانهـــدَّ جســـمي ومـــسَّ الـــوهن أعضـــائي

وأنــــتم الظـــــل أهـــــواه ويتـــــبعني

تتبـــــع الطـــــير يرجـــــو نبعـــــةَ المـــــاء

وأنــــتم الـــــنغَم المحبـــــوب يطـــــربني

يشـــــــدني أن أرى تقـــــــدير آبـــــــائي

وأنــــتم أمـــــل الأوطـــــان إن عصـــــفت

ريـــــاح شـــــر وإن واجهـــــت أعـــــدائي

كـــم تلعبـــون بـــلا فكـــر ولا وصـــبٍ

وكـــــم تنـــــامون في رفـــــق وإغفـــــاء

لـــو أن ريـــح الصـــبا مســـتكم بـــأذى

لقلـــت يـــا ريـــح لا تـــزري بأبنـــائي

ومـــا الحيـــاة بـــلا طفـــل يـــداعبني

ينقـــل اللفـــظ مـــن بـــاء إلى يـــاءِ؟

كمال يتذكر قريته الخيرية:

ولد كمال في قرية الخيرية؛ وهي من قرى منطقة يافا بفلسطين، وتبعد عنها حوالي عشرة كيلومترات. والخيرية قرية زراعية تصدِّر محاصيلها إلى يافا فهي مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً.

يخاطب كمال قريته مخاطبة المحب للمحبوب فيقول:

أحـــبُّ صـــوتَكِ لا حبـــاً ولا طربـــاً

وإنمـــا صـــوتُك السِّـــحريّ يشـــجيني

ثم يصف (كمال) حياته في القرية:

وقبلـــها كنـــت في يافـــا وغوطتهـــا

أهـــيم وســـط ريـــاضٍ مـــن بســـاتين

أعـــيش في قـــريتي طـــيراً علـــى فَـــنَن

أشـــدو وأطـــربُ سُـــمّاري بتلحـــيني

والبرتقـــــال علــــــى أغصـــــانه دررٌ

والــــريحُ عِطـــــرٌ بـــأنواع الريـــــاحين

(خيريتـــى) قـــريتي يـــا مهـــد عـــائلتي

البعـــــد يتعـــبني والوجـــــد يبكـــــيني

مـــاذا عـــن المنـــزل المعهـــود مـــن قـــدمٍ؟

مـــاذا عـــن الأنـــس أيـــام الكـــوانين

بيـــت بنـــاه أبـــي كيمـــا نعـــيش بـــه

وبئـــر مـــاء بنـــاه كـــي يُـــرويني

(لـــو كنـــت مـــن مـــازن لم تســتبحْ إبلـــي)

أبنـــاء صـــهيون أبنـــاء الشـــياطين

وقد ترك كمال وعائلته قريتهم (الخيرية) مكرهين؛ ويتذكر قريته وبيته فيها فيقول:

ودارك أصـــــــبحت للخصـــــــمِ دارًا

وذاك المنـــــــزل المعهـــــــود دكّـــــــا

ومـــا لاقـــاه أهلـــك مـــن ضـــياع

وإذلالٍ لأهـــــل الحـــــق أنكـــــى

فلســـــطين الحبيبـــــةُ يـــــا بـــــلادي

بفقـــدك صـــار عـــيشُ الحـــرِّ ضـــنكًا

تركتـــك مكرهـــاً وتركـــت أهـــلاً

وبُعـــد الأهـــل والأوطـــان يُبْكـــى

أبعـــدَ البُعْـــدِ عـــن أهلـــي وأرضـــي

ســـنُرْجِعُ عـــزةً ونعيـــدُ ملكـــا؟!

ويختم كمال ذكرياته في قصيدة أخرى بقوله:

يـــا بـــلادي وأنـــتِ أحســـنُ حُسْـــنٍ

فيـــك نظـــمُ القصـــيدِ خفـــق الفـــؤاد

إن كبونـــــا فللزمـــــان رجـــــوعٌ

والليـــــالي للخصـــــمِ بالمرصـــــادِ

وســـــيتلو ســـــوادَ ليلـــــكِ نـــــورٌ

وســـتغفو العيـــونُ بَعْـــدَ الســـهادِ

شوقه إلى الوطن:

ولد كمال رشيد في قرية الخيرية قضاء يافا، وكان والده مزارعاً وكان يصدر إنتاجه الزراعي إلى أحد التجار هناك...

لقد أبلغنا (كمال) أنه كان في السابعة من عمره عند خروجه من ١٠الخيرية" فيقول:

أهفـــــو إلى الـــــوطن الـــــذي أتممـــــتُ فيـــــه الســـــابعة

إلاّ أنه يسجل هنا أمله في عودة الوطن فيقول:

وطـــــني وإنْ طــــال الزمــــان وإن تعـــــددت الســـــهام

واغـــــبر وجــــه الأرض حينـــاً وانتفـــى معنـــى الســـلام

وطـــــني وإن نـــام الــــدعيّ فــــإن عــــيني لـــــن تنـــام

وغــــداً ســــتنطلق الزّحــــوف تزيــــل أســـتار الظـــلام

فعلــــى عـــــدوّي كـــــل شـــــبر مـــــن ثـــــرى أرضـــي حــــرام

فلسطين في قلب كمال:

للوطن في نفس (كمال) مكان واسع. وهو لا يذكر فلسطين إلا والمجد يلازم هذا الذكر. فيقول:

فــو الله مــا في الــنفس ميــلٌ ولا هــوى

ولا في فـــؤاد الحـــرِّ إلا هـــوى المجـــدِ

فرحـــتُ بهـــا عمـــري وكُنـــت ربيبهـــا

ومتعـــت فيهـــا ســـاعة الجهـــل والرشـــدِ

فلســـطين حـــبي مـــا حييـــتُ وإنـــني

سـعيدٌ بهـذا الحـبِّ مـا طـالَ بـي عهـدي

ويرى كمال أن الهزيمة المعنوية أشد وقعاً من هزيمة المعركة، وأن عزة النفس أساس في المقاومة، فيقول:

عــزةُ الــنفسِ لم تَغِــبْ عــن وجــودي

رغــمَ بُعْــدي وهجرتــي وقيــودي

أنــا حــرٌّ لا أرتضــي بــولاء

غــير حــبي لخــالقي معبــودِي

أنــا إنْ عشــت والجهــاد ســبيلي

ســيرى الخصــم قــوتي وحــدودي

يــا جنــود الــرحمن للحــرب ســيروا

يــا سمــاء الإســراء بالنصــر جــودي

واجعلــي النصــر عنــوة لا عطــاءً

خلّصــينا مــن (مجلــس) ووعــود

وأقيمــي الصــلاة في كــل صــبحٍ

واجعلــي آيــة الجهــاد نشــيدي

على خطى المعتصم:

وجّه كمال رشيد نداءً إلى أحبابه يخبرهم فيه كيف تكون الاستجابة لنداء المظلومين من الأمة هذه الأيام، كما كانت الاستجابة أيام المعتصم، عندما صاحت امرأة من المسلمين: (وا معتصماه).

إن (كمالاً) في هذا الموقف له همة المعتصم، فهو واقف على أرض صلبة (في عرين الأسد) وضمن ظلال (العقيدة الغراء) يقف (كمال) ينوي تحرير الأرض قال كمال:

أنـــا في مـــدار الشـــمس كانـــت وقفـــتي

والفجـــــرُ والأمجـــــادُ مـــــلء إهـــــابي

أنـــا في عـــرين الأســـد كانـــت جلســـتي

ومـــع الســـنين الغيـــد ضـــاع شـــبابي

بعقيـــــدةٍ غـــــراءَ تجمـــــع أمـــــة

للظـــى المعـــارك أو ســـنا المحـــرابِ

وإذا دعتنـــا الحـــرب كنـــا أهلَهـــا

والثـــأر كـــان لنـــا أصـــحّ جـــوابِ

ســـيظل وجهـــي مشـــرقاً بيقينـــه

بشـــروقِ شمـــسٍ بعـــدَ طـــولِ غيـــابِ

دمعة وفاء:

الوفاء صفة من صفات كمال، فقد استشهد أحد إخوانه العالم المعلم الأستاذ محمد عزت الشريف المشرف التربوي في وزارة التربية والتعليم، وقبلها كان معلم التربية الإسلامية في مدرسة السلط الثانوية.

استشهد محمد عزت الشريف برصاصة طائشة في منزله، ومات من استمرار النزيف لا من عمق الجرح، كان ذلك في أيلول عام ١٩٧٠ . أنشد كمال شعراً هو شعر الرثاء، فقال:

لفقــدك جــاد الــدمع واســتيقظ الحــزن

لبعــدك يشــكو القلــب والشــعر والــوزنُ

لقــد كنــت في هــذي الحيــاة أخــا الوفــا

ولمــا تركـــت الـــدار أزرى بنـــا الـــبين

عرفتُـــك للعـــافي الضـــعيفِ مواســـياً

وللجـــار معوانـــاً وقـــدْ نـــدَرَ العـــونُ

وإن أنـــسَ لا أنـــسَ ابتســـامة مـــؤمن

إذا مـــا أتـــاه الضـــيف أو زاره الخـــدنُ

فلســـطين نالـــت مـــن فـــؤادِك قَـــدْرها

وكنـــت بهـــا بـــراً؛ إلى نصـــرها تَرْنُـــو

ســـعدتَ بهـــا عمـــراً وجاهـــدت دونهـــا

وناشـدت أهـل الطعـن أن يصـدق الطعـنُ

قضـــيت شـــهيداً وانتقلـــت لجنـــةٍ

فســـقياً لإنســـان إقامتـــه عَـــدْنُ

حرق المسجد الأقصى:

في ١٩٦٩/٨/٢١ أقدم اليهود على حرق المسجد الأقصى في القدس الشريف. فقد احترق أثاثه، وفراشه ومحرابه الذي جلبه صلاح الدين الأيوبي، وبعض أسقفه الخشبية، وهبَّ أهل القدس يطفئون النيران، واجتمعت القمة الإسلامية في المغرب؛ لإصدار بيان يشجب إحراق المسجد.

وقد انفعل الشاعر لهذا الحدث الجلل فقال:

جَـــــــلَّ الُمصـــــــابُ وزادتِ الآلامُ

وعَـــدَتْ علـــى أرضِ الهـــدى الأقـــوامُ

مـــا قيمـــةُ الـــدَّمعِ الهتـــون أصـــوغه

شِـــعراً وشـــعبي للـــهوان يُســـامُ؟!

يـــا ثالـــثَ الحـــرمينِ حرقُـــكَ نكبـــةٌ

فيهـــا يزيـــد الجـــرحُ والإيـــلامُ

يـــا مـــوطن الإســـراء خصـــمُك غـــادرٌ

وســـــبيله التقتيـــــلُ والإجـــــرامُ

إن يحرقـــوك فلـــيس ذلـــك بدعَـــةً

في ديـــــنهم بـــــلْ إنهـــا الأحـــلامُ

حـــربٌ علـــى الـــدّين الحنيـــفِ وإنهـــا

لطويلـــــةٌ مـــــا طالـــــتِ الأيـــــامُ

في ذكرى الهجرة النبوية:

كانت هجرة الرسول محمد ﷺ حدثاً غير عادي. ولهذا، يصف (كمال) هذا الحدث الجلل بقوله:

حَـــــدَثٌ غيّـــــرَ الوجـــــودَ وأضـــــحى

يـــــومَ عيــــدٍ ولـــــيسَ كالأعيـــــادِ

إنه حدثٌ أقيمت فيه دولة الإسلام، وأصبح لها كيان قوي قادر على المنافسة الاقتصادية والعسكرية.

يرى (كمال) أن من واجبه أن يسجل الحدث شعراً، مستعرضاً أحداث مكة قبل الهجرة وكيف ثار القوم عليه، لكنه يبدأ برسالة الإسلام وأن الرسول جاء محرراً للعباد. يقول كمال:

وأراد الـــــرحمن بعثـــــك للنـــــاس

رســــــولاً محـــــــرراً للعبيـــــــد

جئـــتَ تجلـــو القلـــوبَ مِـــنْ كـــلِّ ريـــنٍ

وتســـــاوي العبيـــــدَ بالأســـــيادِ

وينتهي المقام بالشاعر عند وصول الرسول إلى المدينة فيقول:

طلـــــعَ البــــدْرُ إذْ طلعـــــتَ علينــــا

يــــا رســـــولاً نفديــــه بالأكبـــــادِ

ذكريـــاتٌ تعيـــدُ في الـــنفسِ صَـــوْتاً
أحمـــــدياً مـــــنْ ســـــالفِ الآمـــــادِ

في رفقة المجاهدين:

لكمال عشق للجهاد والمجاهدين لأنهم الوسيلة لتحرير مسرى الرسول ﷺ.

وفي هذه السانحة موقفان الأول لقاء مع مجاهد جاء إلى الأرض المقدسة لكي يحمي مسرى الرسول، والثاني في وداع مجاهد شهيد من اليمن، كان ضابطاً في الجيش فاستقال وقدم إلى الأردن شيخاً من شيوخ الجهاد، إنه الشهيد محمد سعيد با عباد، ورضوان كريشان وأبو الحسن؛ ولنبدأ بسؤال (كمال) للمجاهد.

ســـــألتُ المجاهَـــــد مِــــنْ أيِّ أرضٍ
فقـــــال مـــــن البلـــــدِ الغاليـــــةْ
ونفســـــك مـــــاذا تريـــــدُ بهـــــا
فقـــــال وقـــــوداً لأطفاليـــــهْ
إذا أنـــا لم أحْـــمِ مســـرى الرســـول
فبـــــئسَ الســـــلامةُ والعافيـــــةْ
ســـــألتُ المقاتـــــلَ: مـــــاذا تريـــــد؟
فقـــــال القضـــــاءَ علـــــى الباغيـــــةْ
رصاصُـــكَ أصـــدقُ مـــنْ كـــلِّ قـــولٍ
وأقـــوى مـــــن الدولـــةِ الغازيـــةْ

ووجهــك أوضــح مــن كــل شمــسٍ

وهامُـــــك في القمـــــةِ العاليـــــةْ

وأما الموقف الثاني فكان مع مجاهد شهيد من ذرا اليمن؛ يقول كمال:

ثـــــائرٌ مـــــنْ ذرا الـــــيمن جاءنـــــا يحمـــــل الكفـــــن

عـــــاش عمـــــراً مجاهـــــداً مـــــا تراخـــــى ولا وهـــــن

عـــــاش بـــــالله مؤمنًـــــاً حـــــاربَ الكفـــــرَ والـــــوثن

راعَـــــه أن يـــــرى العـــــدا تغصِـــــبُ القـــــدس والـــــوطن

تحـــــرق المســـــجد الـــــذي عـــــزّ مـــــن ســـــالف الـــــزمن

لســـــت أبكيـــــك يـــــا أخـــــي رغـــــم دمعـــــي الـــــذي هـــــتن

عَـــــدَن أنـــــت ليثهـــــا عُـــــد شـــــهيداً إلى عـــــدن

إيـــــه يـــــا نفـــــسُ أجملـــــي إنمـــــا الصـــــبر في المحـــــن

شـــــيعوه بموكـــــب لا دمـــــوع ولا شـــــجن

إنمـــــا العمـــــر ســـــاعةٌ تتلاشـــــى مـــــع الـــــزمن

بعـــــدها جنـــــة العـــــلا بعـــــدها الخلـــــدُ والســـــكن

إنهـــــا غايـــــة الـــــذي حمـــــل الســـــيفَ والكفـــــن

لم يودع

⋆ شعر د .كمال رشيد

بيننا كان ومات

لم يودع،

لم يقل شيئاً،

ولم يترك وصية

بيننا كان وغاب

مثلما الشمس تغيب

أترانا نرغب العيش بلا وجه حبيب

❋ ❋ ❋

أيها السائل عنه

عن جمال العيش، عن أغلى الطيوف

عن أماني القلب كيف تذرع العالم والوجدان تمشي وتطوف

ترسم المستقبل الباسم في لوحة فنان،

ولا تدري عن الماضي المخوف

وهي تنسى أن موتاً سوف يأتي

ينسف الأحلام، يودي..

بابتسامات وأمال، ويودي

بغرور وافتنان

وعلوم وحلوم

وبأخلاق الرجال

أيها الراحل كم أملت في الدنيا وأطلقت العنان.

❊ ❊ ❊

أيها الراحل ليت العمر كان

ساعة الرحمة والبسمة في دنيا الأمان

ساعة الركعة والسجدة،

والإيمان أن الله رب الناس والأشياء

رب الخلق والرزق، ملاذ الضعفاء،

ساعة الغضبة، إذ هَمَّ عدو بامتهان الأرض

والإنسان

قتل العنفوان

❊ ❊ ❊

أيها الراحل ليت المال كان

مركباً للخير والبر وينبوع حنان

ورذاذات ماء تذهب الحر عن الأوجه والأفواه

في صبرا ولبنان، وفي آسام، في الأفغان

في كل مكان

❊ ❊ ❊

أيها الراحل ليت الجاه كان

غضبة تجعل للكفر وللظلم وللرشوة حداً
تجعل الناس سواء،
لا ترى في الناس حُرّا حق أن يملك عبداً،
منبراً يرفع صوتا
بطرق الأسماع والأسماء لا يَرْهب جواظاً قوياً،
يرفض التزوير
والتخدير، يعلي الهامة الشماء
لا يعرف غير الله رباً.

* * *

أيها الراحل والرحمة نرجو
لك في أخراك، في يوم الجزاء
ربما قلت جميلاً
ربما زرت عليلاً
ربما أنفقت في تجهيز غاز
ربما عارضت صفقات المخازي
ربما دمعة صدق
ربما قولة حق
ربما لمسة رفق
منك كانت
فهي نور لك في دار الجزاء

مرثية للشاعر كمال رشيد

بقلم: أ.د.عماد الدين خليل

في عام ١٩٩٠ أسعدني أن يطلب مني الأخ الأديب الشاعر كمال رشيد كتابة مقدمة لديوانه(القدس في العيون).

قبلها كنت قد تعرفت على ابنه(بلال) طالباً بقسم اللغة العربية في كلية آداب جامعة صلاح الدين في أربيل يوم كنت أدرس فيها.لفت نظري اتزانه الملحوظ وأخلاقه العالية وتوقه الملهوف لأن يوظف الكلمة في خدمة الإيمان، تماماً كما فعل أبوه.

من بلال نفسه بعدما يقرب من العشرين عاماً تلقيت النبأ المفجع بوفاة أبيه.. كان النبأ نصلاً حاداً اخترق على حين غفلة جملتي العصبية ورشقني بدفقات من الحزن العميق.. تماماً كما حدث مع داود معلا، ومحمد الحسناوي، ونجيب الكيلاني، وعمر بهاء الدين الأميري قبله.

أعرف أبا بلال جيداً.. التقيته مراراً في عمان..وقضيت في داره هناك بصحبة ثلة من الإخوة الأدباء والشعراء.. ساعات طيبة تكررت في معظم الزيارات

الآن يخبرني بلال أنه غاب، فما الذي أستطيع أن أقول وسيال التداعيات ينهمر علي كالمطر قبالة لحظة الموت التي تسدل الستار على مسرحية الحياة

كلنا ممثلون عابرون.. ظلال عابرة.. تتحرك مسرعة على شاشة الزمان.. تملك طولاً وعرضاً ولكنها لا تملك عمقاً تستحق من أجله البقاء.

الحياة الحقيقية المكثفة ذات العمق..(الحيوان) بالتعبير القرآني هي هناك في الآخرة.. أما هنا في(الدنيا) ولننتبه إلى دلالة الكلمة كي لا يضيعنا الأمل الكاذب

والغرور.. فما نحن سوى ممثلين عابرين في مسرح رخيص.

والرجل الرجل من يأخذ معه الزاد الذي يعينه على رحلة العبور الصعبة بين الحياة والموت..وبين الأرض والسماء..وبين الدنيا والآخرة.

وأقول في نفسي محاولاً الخروج من دائرة الحزن.. والتحرر من ضغطه القاسي: نحن بالمنحة الإيمانية التي أعطانا الله إياها، نفرح بالموت مرتين.. مرة لأنه ينقلنا من ضيق الدنيا إلى سعة الملكوت.. ومرة لأننا إذا كنا قد قلنا شيئاً.. كتبنا كلمات أريد لها أن تسبح بحمد الله وتنتصر لشريعته في الأرض، فإن حياة أخرى تنتظرنا، أكثر كثافة وعمقاً وحضوراً وامتداداً من حياتنا الأولى.

أنت يا أبا بلال ومعك الكيلاني ومعلا والحسناوي والأميري وكل أدباء الإسلامية الذين رحلوا حاضر بكلماتك.. الآن وعبر كل الأزمان القادمة وخاطئ من يقول انك مت، فما أنت بميت وشجرتك الطيبة تتجذر في الأرض وتوغل بفروعها في السماء.

لقد بدأت رحلتك الطويلة، المترعة خصباً وعطاء، باسم الله.. وها أنت ذا تنتهي إليه، فما تلبث كلماتك أن تنهض قائمة لكي ترفع إلينا مع فجر كل يوم قادم، خطابها الإيماني الوضيء.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الأخ الدكتور كمال رشيد

من د. عودة أبو عودة
رئيس المكتب الإقليمي في الأردن
لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

أخي العزيز: أبا بلال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فإني وإياك على مثل اليقين بأن كلماتي هذه ستصل إليك، بأي وسيلة قضاها الله عز وجل. فالمسافة يا أخي بين الدنيا والآخرة ـ في حياة كل إنسان- كالمسافة بين أمس واليوم، وبين اليوم وغد، وإني:

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى

بعيداً غداً، ما أقرب اليوم من غد

والموت- يا أبا بلال- انتقال من حياة لها نظام مقرر معلوم، ومدونة في كتاب مرقوم، سمّاها الله عز وجل الحياة الدنيا، إلى حياة أخرى، لها نظامها الخاص بها، سمّاها الله عز وجل: الدار الآخرة، وكلتا الحياتين قائمة على هذه الأرض، ولكن الحياة في الدار الآخرة يبدل الله عز وجل فيها الأرض غير الأرض، لكي تتهيأ الأرض بنظام جديد موافق للصورة التي يقوم عليها الناس لرب العالمين. وكل امرئ من خلق الله إنما ينتقل من حياة إلى حياة، ولكن شتان بين امرئ أعدّ لحياته الأخرى خير إعداد من طاعة الله عز وجل ومحبته ورضاه، وامرئ غافل عاش حياته على هواه، مضى إلى آخرته ليذوق وَبال أمره جزاء ما قدمت يداه.

ولقد سمعت الناس – يا أخي أبا بلال- بعد رحيلك عنا، يعزي بعضهم بعضاً بفقدك، ويحاولون إقناع بعضهم بعضاً أنّ هذا أمر الله، وأن الموت حق، وأن على النفس أن تصبر، وأن على القلب أن يطمئن، بما يرجوه لك عند الله من خير عميم، وفضل عظيم، وكل هذا حق ولكن الحق الذي لم نستطع دفعه أن مصيبتنا بفقدك – يا أبا بلال- كانت كبيرة، وأن رحيلك عنّا كان مؤلماً، وكان الله عز وجل أول من واسانا بفقدك، وأصدق من قدم لنا حسن العزاء برحيلك، بقوله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ .

-إنها مصيبة كبيرة يا أبا بلال.

- وإنه لنقص كبير في حياتنا إذ فقدناك، وصحونا صباح ذلك اليوم، السبت ٢٩/٣/٢٠٠٨ على يقين بأننا بعد هذا اليوم، في حياتنا هذه الدنيا، لن نراك.

وإن أجمل عزاء وأحسنه أن تُشعر المرء بفاجع مصيبته، وأن تشاركه في تحمل أحزانه، وأن تنحدر معه رويداً رويداً إلى طريق الصبر، والسلوان، فتقول له:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا- إذن- هو الدواء الشافي، وهو العزاء الصادق، وهو أيضاً باب الأمل الكبير، والفرحة القادمة، أننا- بكل يقين- سنلتقي مرة أخرى يا أبا بلال، وسنعود إلى ما كنا عليه في أيامنا هنا في هذه الدنيا، نعبد الله عز وجل بسعادة ويقين، ونقوم بعملنا بإخلاص وإتقان، ونعامل الناس ونصل الرحم، ونربي الأبناء على الطريق الذي يرضاه الله عز وجل ورسوله.

لقد رأيتني- يا أبا بلال- أنا وأنت- نداوم في مكتب واحد، في قسم اللغة العربية في مديرية المناهج بوزارة التربية والتعليم، سنين عدداً، مكتبك يواجه مكتبي، تقول لي كل صباح (قابلني ت أقابلك)، وكان مكتبنا في تلك الغرفة يشكل قسم اللغة العربية، وكانت غرفتنا تغص كل يوم بالإخوة الزملاء من أعضاء المناهج الأخرى، أعضاء الرياضيات والأحياء واللغة الإنجليزية والتربية الإسلامية وعلوم الإدارة وغيرها. كان يحلو لهم أن يمرّوا بنا، فيسمعوا قصيدة جديدة، أو طرفة ظريفة، أو حكمة بالغة، ثم يعود كل منهم إلى مكتبه، ولا أنسى - يا أبا بلال- أنني جئت ذات يوم وقد أصابني البرد، وألح عليّ الرشح والسعال الشديد، والعطاس المتصل فقلت لي عند أول عطسة: رحمكم الله، وقلت بعد المرة الثانية: رحمكم الله، وفي الثالثة فاجأتني بأنك ألصقت ورقة على المسطرة، وكتبت عليها رحمكم الله، فكنت ترفعها في وجهي كلما عطست. لَكَمْ ضحكت- يا أبا بلال- من قلبي، وضحك زملاؤنا عند شاهدوا هذه اللافتة.

ولا أنسى- يا أبا بلال- أنني عاصرت صدور ديوانك الأول (شَدْو الغرباء) حيث كنا في مديرية المناهج. وقد عرضت عَلَيَّ الديوان مخطوطاً لإبداء ملاحظاتي عليه قبل طبعه، وكان أن ناقشتك في مطلع إحدى القصائد، واقترحت عليك أن تضع كلمة محددة مكان أخرى. رأيتُ أنها توافق الوزن والمعنى، وأنها أكثر انسجاماً مع السياق، فوافقت عليها. وعند صدور الديوان قلت لك إنني سأشتري أول نسخة منه بقصد البركة وتأسيساً لخصوصية لي فيه، أنْ كنتُ أولَ من قرأه، فعندما أردت أن أعطيك ديناراً، ثمن النسخة آنذاك، قلت لي: دع هذا في جيبك، فلك في الديوان، ولي فيه، والحساب جمّاع. فلم نملك أنفسنا من الضحك بسعادة وحبور.

وقبل المناهج- يا أبا بلال- قضينا أربع سنوات في المغرب الشقيق في إعارة من وزارة التربية هنا إلى وزارة التربية وتكوين الأطر - كما يسمونها هناك-، ولكن

نصيبك كان في وسط المغرب في مدينة رسطات) قرب الدار البيضاء، وكان نصيبي في (بركان) في أقصى الشمال الشرقي للمغرب، وكان بيننا أكثر من (٨٠٠) كيلو متر، ولكن هذه المسافة لم تمنعني أن آتي لزيارتك وقضاء يومين في ضيافتك مع أهلي وأبنائي، الذين كانوا أطفالاً في سن أبنائك. وفي صباح ليلة قضيتها في بيتكم العامر طلبت منك فرشاة حلاقة، فأتيتني بفرشاة كان بقي منها ثلاث شعرات فقط. قدمتها لي وأنت تغالب موجة عارمة من الضحك. وقلت لي: هذه ورثتها أباً عن جد، ولذلك تراني محتفظاً بها. فطلبت منك أن تهدينيها تذكاراً وتخليداً لهذه الزيارة، ولكنك رفضت، وقلت هذه من أساسيات البيت. ولشد ما ضحكنا والأطفال حولنا ينظرون ويعجبون.

أخي العزيز أبا بلال:

وإنما ذكرت هذه المواقف الطريفة في حياتنا معاً، ولا أدري: أرغبتُ أن أخفف حزني بتذكر صلة بيننا كانت أوثق الصِّلات وأسماها. أم أني أريد أن أطلق لدموعي العنان الآن فأبكي وأستريح عسى أن تهدأ نفسي ويشفى قلبي بتذكر مواقفك وكلماتك؟

أخي أبا بلال، كم تلح عليَّ الآن أبيات الخنساء في رثاء أخيها صخر:

يُــذَكِّرني طُلــوع الشّــمسِ صَــخْراً   وأذكــره لكــلِّ غُــروبِ شَــمْسِ

ولـــولا كثـــرةُ البـــاكين حَـــوْلي   علـــى إخـــوانهم لَقَتَلْـــتُ نفســـي

ومـــا يبكـــونَ مِثْـــلَ أخـــي ولكـــنْ   أُعَـــزِّي الـــنفسَ عَنْـــه بالتأسِّـــي

أخي العزيز أبا بلال:

كنتَ كبيراً في حياتك، عظيماً في أعمالك، مخلصاً في وظائفك، كنت أباً حانياً، ومربياً ناجحاً، ومعلماً متميزاً، ومؤلفاً واعياً، ومديراً كبيراً، كنت قدوة في سيرتك، وليت المجال يتسع للحديث عن هذه المآثر، ولكن عزاءنا أننا ستتحدث عنها حديثاً علمياً منظماً، نرى لزاماً علينا في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي كنت عضواً مؤسِّسًا فيها أن نقيم احتفال وفاء وتكريماً لنفسك الطاهرة وروحك العذب يليق بمقامك -إن شاء الله-.

أخي العزيز كمال:

منذ بدأت كتابة هذه الكلمات، وآيات من القرآن الكريم تتردد في صدري أرى- إن شاء الله- أنها تصف مقامك الآن عند ربك الكريم إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

فسلام عليك أخي كمال، سلام عليك يا أبا بلال في جوار الله، أكرم جوار، وأرجو الله عز وجل أن تكون من الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

أخي الحبيب:

لعمري لئن غالَ رَيْبُ الزمان فساء لقد غال نفساً حبيبة

ولكن علمي بما في الثواب عند المصيبة ينسي المصيبة

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

د. عودة أبو عودة

أفتقدك ولا أرثيك يا أبا بلال

*د.عبد الله الخباص

في هذا الزمن الصّعب الذي تمرّ أحداثه بسرعة تجعل الحليم حيران يفتقد الرّجال المميّزون الذين اعتادوا أن يسهموا في إضاءة الطريق للناس، ويصوّروا لهم معالم مستقبلهم برؤيتهم المبصرة، وآرائهم السّديدة. ولعلّ من هؤلاء من يجمع بين الأدب والفكر والتربية والسّلوك القويم، فكان مثار إعجاب الناس ورضاهم في حياته، وسكبوا دموعهم الغزيرة عليه بعد مماته.

ومن هؤلاء الفضلاء الدكتور كمال رشيد {أبو بلال} الذي لبّى نداء ربّه، أفتقده اليوم راحلاً عزيزاً، أفتقده لحاجة الأمة إلى أمثاله، ممّن أسهموا في بناء حضارتها، وأشعلوا في دروبها شموعاً مضيئة، أنارت طرقها، وبدّدت العتمة بالكلمة الطيبة الصادقة، وبالقصيدة المؤثّرة في الوجدان، وبالفكر الثاقب، والسلوك الهادئ المستقيم.

أفتقدك اليوم يا أبا بلال، رحمك الله، فأستذكر شمائلك وصفاتك الحميدة، لأنّ الأصلاء الأعزاء يفتقدون " وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر". أفتقدك ولا أقوى على رثائك، فلست أجيد رثاء الأعزّاء، ولكنّني أستذكر مآثرك ومناقبك التي تجعلك حيّاً بين أظهرنا، وإن غادرنا جسدك. نعم، لقد بقيت حيّاً بما تركت من آثار جليلة كان عمادها الكلمة الطيبة، وكلّ العقلاء يردّدون معبرّين عن أثر الكلمة في مسيرة الأفراد والشعوب قائلين :" الكلمة الطيبة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان". وأنا أعلن اليوم بعد رحيلك شهادتي التي كنت أعلنها في حياتك أنّك واحد من أدباء الأمّة ومفكّريها الذين خرجت كلماتهم من القلب، لتستقرّ في قلوب الناس ولا تغادرها، وأحسبك واحداً من الذين ناضلوا بكلمتهم نضال الشّرفاء فصدق فيهم قول أحد الحكماء:" من كانت

صفقته مع الله فهنيئاً له". نعم لقد كتبت تاريخك الحياتيّ الأدبيّ والفكريّ بحروف ساطعة من النّور، لأنّك كنت تستذكر دائماً أنّ الإنسان الحرّ يكتب تاريخه في حياته، ويجدّد وجهته ومساره، وكأنّك كنت تستذكر دائماً قول ذاك الحكيم:" أنت تكتب تاريخك بيدك فحسّن خطّك". وأنا أشهد أنّك قد كتبت تاريخك بخطّ حسن جميل، فظلّت ذكراك زاهية جميلة خالدة.

وأودّ أن أفزع إلى بعض الذكريات التي تؤكّد صدق ما أقول، أنا الذي كنت أردّد شعرك قبل أن نصبح صديقيْن نعمل في دائرة واحدة في مديرية المناهج بوزارة التربية والتعليم، تلك الصداقة التي أخذت تنسج خيوطها الجميلة في صباح يوم السبت ١٦/ ٢/ ١٩٨٥م، يوم بدأنا عملنا معاً نحن الثلاثة، أنت والدكتور عودة أبو عودة وأنا... حتى كان يطلق الآخرون علينا لقب "الثلّة". نعم، أستذكر اليوم أياماً وسنوات قضيناها في المناهج وخارجها ونحن نضع المناهج ونؤلّف الكتب لأبناء الأردنّ والدّول العربية الأخرى، لتكون شاهداً على مسيرة حياة تربويّة، كنت تتصدّر قائمة من يعتزّ بها ويعلي من شأنها.

لقد رحلت اليوم يا أبا بلال، وبقينا نستذكر اليوم بعض صفحات تاريخك الناصعة، أنت الذي أحببت الأردنّ وفلسطين، والدّول العربيّة والإسلاميّة، ولكّن الغربة قد أحرقت مشاعرك فشدوت بها شعراً في ديوانك "شدو الغرباء" الذي استشعرت فيه مرارة الغربة والتشرّد في المكان والزّمان والأفكار.

لقد فتحت عيونك جيداً في ماضي الأمة وحاضرها لتستشرف مستقبلاً مشرقاً لها، لقد حدّقت في الظلام لترى النّور، فكانت قصائدك الجميلة في ديوانك "عيون في الظلام"، حتى لا تستسلم الأمة لظلامها، وتسهم بإنارة دربها.

أذكر فيما أذكر اليوم أنّك كنت تلقي قصائدك الجميلة في المنتديات المختلفة، وتركّز على محبّة الإيمان ورسول البشريّة محمد صلى الله عليه وسلّم، وكانت دمعات تترقرق في عينيك كلّما أنشدت قصيدتك ذائعة الصّيت:

حتى إذا ما رأيت الطلبة في المدارس والجامعات ينشدونها موقّعة ملحّنة على المسارح فاضت عيناك بالدّموع فرحاً، وحُقّ لك ذلك، وها هي ذي دموعنا تفيض اليوم لرحيلك وفراقك رحمك الله.

أذكر فيما أذكر اليوم أنني كنت في ١٤/ ٢/ ٢٠٠٥م أحاضر عن القدس في الأدب العربيّ الحديث بمعيّة فاضلين هما: الأستاذ رائف نجم (عن تهويد القدس) والدكتور وليد سيف (عن التغريبة الفلسطينية).. أذكر يومها أن اللجنة المشرفة على ذاك المهرجان في مدارس الرضوان قد سمّته "القدس في العيون".. فأعلنت يومها على الملأ وقلت: أتعلمون من مبدع هذه التسمية؟ تلقّيت إجابات مختلفة، ولكنّني أنشدت لهم بيتي شعر من ديوانك " القدس في العيون":

القدس في العيون نفنى ولا تهون

ونحن جندها للنصر سائرون

لست أقوى على الاستمرار في ذكر الشواهد التي تحرق قلب الذي فقد عزيزاً أحبّه، ولكنّني أجد أنّ من الوفاء أن أشير إلى أنّك نجحت في تربية أبنائك فلم تفجع بواحد منهم في خلقه أو فساد تصوّره كما جاء على لسانك في إحدى مقابلاتك، فنَمْ هادئ البال، لقد حمل أبناؤك الرّسالة من بعدك، فلم ينقطع عملك، وسيبقى ذكرك خالداً مدى الدهر إن شاء الله، وستتواصل الرسالة التي ناضلت من أجلها على يد أبنائك حفظهم الله، وعلى يد أصدقائك وتلاميذك الكثيرين الذين عاهدوا الله على الاستمرار في حمل المشعل الخالد، فلن يخبو إن شاء الله.

رحمك الله رحمة واسعة، وأسكنك فسيح جنّاته، وجمعنا بك في مستقرّ رحمته، مع النبيّين والصدّيقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

في مقام التذكار

الأستاذ الدكتور: نهاد الموسى

(١)

وآمـــالُ النفـــوسِ مُعَلَّـــلاتٌ   ولكـــنّ الحـــوادثَ يعْتَرِضْـــنَهْ

أبو العلاء

بهذا البيت وجدت أبا العلاء يترجم عن قَدَرِنا الوجودي حين جاءني نبأ ما وقع لأبي بلال، ثم دافعت الأسى المعاوِد كهموم الشنفرى بضروب من التذكار.

(٢)

قبل ثلاثين سنة أو قريب من ذلك لقيت كمال رشيد في دائرة المناهج. وفي سياق مثل الحديث الذي يتداوله المشتغلون بالعربية ذكر لي أنّه أنجز رسالة أعدّها لنيل درجة الماجستير عن الزمن في النحو العربي بإشراف علم من أعلام اللسان العربي هو الدكتور تمام حسّان. وذكر عوائق في طريق إتمام الإجراءات لنيل الدرجة وأنه يلتمس جامعة ينتقل بالرسالة إليها فتناقشها وتمنحه الدرجة، جامعة تعتُّد بالمنجز ولا تعترضه بشروط إضافية وإجرائية.

(٢)

وتراخى الزمان على ذلك عقداً أو أزيد وإذا هو في الجامعة الأردنية باحثاً يشق طريقه إلى الدكتوراه حتى نالها فآنسني ذلك بأنه، إذن، قد ذلّل العقبة الأولى وأنّه حقّق طموحه في مشروعه العلميّ.

(٣)

وشاقني بعد ذلك أن علمت أنه انتحى منحى غير الذي ينشده الحاصلون على الدكتوراه، إذ إنهم في العادة يرون أن العمل في الجامعة يمثّل محطّتهم المأمولة بعد الدكتوراه.

شاقني أن علمت أنه تولّى إدارة المدارس العمرية. وللمدرسة في خاطري مِثْل رَجْع التَّحْنانِ إلى الزمن الجميل؛ تمور بالصخب البريء والغصون اليافعة المشرئبة إلى آفاق المستقبل والعاملين عليها والعاملات من المعلمين والمعلّمات، الكادحين والكادحات، والمجتهدين والمجتهدات، والمتذمرين والمتذمرات، والصابرين والصابرات.

وكنت أتوق إلى أن أزوره أستعيد ساعة من ذلك الزمان، أرقب تراكض التلاميذ والتلميذات في الساحة، وانطلاقتهم من قاعة الدرس بعد الدرس أو بعد الدوام، وانكباب المعلمين والمعلمات على تصحيح كراريس الطلاب والطالبات وما يتبادلونه في أثناء ذلك من شجون الحديث. ولكن خبر الحادث الجلل قد قطع عليّ حبل ذلك الأمل!

(٤)

وفي زمن التواصل هذا يتفاصل الناس عن غير قصد، ويظلّ حلم التواصل قائماً بالقوة، وقد يقع بالفعل اتفاقاً، ولكنّه يظلّ قائماً في خاطر البال. على أن زمن التواصل هذا بما شغل الناس ليس تفاصلاً كُلَّه، فإن لم يسمح باللقاء المأمول فقد أتاح لي تواصلاً من طبيعة العصر.

كنت آنس إلى زاويته التي تلوذ بركن قصيٍّ في ظهر إحدى صفحات الدستور، وأجد بعض العزاء فيما يتناوله من أحوال هذا الزمان وتقلبات الحدثان، إذ ينطق فيها بمضامينها عن بعض ما يدور في الوجدان، ولكنه يضفي عليها، في صورة التعبير، سماته الخاصّة في البيان، أظهرها أن يتخذ سبيل القصد في العبارة، وأن يتخذ سبيل المفارقة في الإشارة.

(٥)

وحين جاءني بلال بكتاب أبي بلال عن الزمن النحوي في العربية، تزاحم في خاطري الضِّدان؛ الحضور والغياب، والانقطاع والاتصال وأنست إلى أن الرجل- وإن رحل- فقد ترك أثراً باقياً، وأنجز مشروعاً حمله ثلاثين سنة، وأعقب خلفاً صالحاً يحمل رسالته، والولد سرّ أبيه.

يا رَبّ

★ شعر: د. كمال رشيد

عظـــــيمٌ صـــــنيعك يـــــا خـــــالقي

كـــــثيرٌ عطـــــاؤك يـــــا رازقـــــي

جلالـــــك يلمـــــع في مقلـــــتي

ونـــــورك ينـــــداحُ في خـــــافقي

❊ ❊ ❊

عرفتـــــك في خلـــــوتي، وحـــــدتي

عرفتـــــك في ركعـــــتي، ســـــجدتي

ســـــألتك في شِـــــقْوتي مخلصـــــاً

وقـــــد نـــــاش سَـــــهْمُ الأذى أمـــــتي

❊ ❊ ❊

يطيـــــب النـــــداء، ويحلـــــو الرجـــــاء

وتهفـــــو النفـــــوس لـــــداعي الســـــماء

أتيـــــتُ رحابـــــك في توبـــــةٍ

أجـــــب دعـــــوة العبـــــد يـــــا ذا العطـــــاء

أجرنـــــي وأنـــــتَ المجـــــيرُ الكـــــبيرْ

وكـــــن لـــــي الحفـــــيظَ، وكـــــن لـــــي النصـــــيرْ

وإن طـــــالَ ذنـــــبي فقـــــد طـــــال تـــــوبي

وإنـــــي الضـــــعيف، وأنـــــت القـــــديرْ

كمال رشيد -رحمه الله - كما عرفته

★ سالم الفلاحات

كلاهما يشترك في اسم ابنه الأكبر.

وفي قلة الكلام وجودته وحسمه.

وفي ألم المعاناة في أول الحياة وآخرها.

وفي النكبات والتهجير، والفقر والمرض.

وبالحلم والأناة وعدم التسرع.

وبالإنصات الجيد للمتحدث.

وفي التحذير من خطر الصهيونية العالمية.

وبالقدرة على استيعاب الآخر.

وفي مهارة الوصول للقلوب وفي فن كسبها.

وفي فن تحييد الخصوم أو معظمهم.

أحدهما عايشته أكثر من الآخر بحكم النشأة والقرب المكاني، لكن الأجل أدركه مبكراً قبل الآخر، وهو المرحوم بإذن الله أحمد قطيش الأزايدة أبو بلال الذي تمر ذكرى وفاته بعد أيام قليلة، وأراه حاضراً بالرغم من مرور ستة عشر عاماً على وفاته رحمه الله .

أما "كمال" فله من اسمه نصيب وافر، ما أحلى مجالسته وما أطيب حديثه وما أرق كلماته وما أعف لسانه!

زرته في عام (٢٠٠٢) لنفيد من تجربة العمرية، المدرسة التي بناها وأحسن بناءها وجمع فيها بين الأصالة والمعاصرة .

وجدت مكتبه مليئا بالأوراق والمعاملات والمشاريع والمقترحات والأفكار والطموحات.

وجلس مسروراً عندما عرضت عليه مشروع مدارس نموذجية، فهش لها وبش، وقدم عصارة تجربته وأبدى الاستعداد الكامل لرعاية المشروع ومساندته، وقال: هذه مشاريع أمة تبني حضارتها وتحفظ شبابها وشاباتها، إذا اقترن فيها الانفتاح على خير ما عند الآخر، مع الاعتزاز بالحضارة العربية الإسلامية.

وزرته معزيا يوم وفاة زوجه أم بلال رحمها الله

فما أجمل ما تحدث عن الموت ومعانيه، وعن الوفاء ودواعيه وعن الزهد وحقيقته، وعن الصحبة وحقوقها، وعن الصبر وفضائله.

وكان يلخص فهمه بخط عريض بتحكيم القواعد التالية :

" لا اجتهاد في مورد النص " "أنتم أعلم بشؤون دنياكم " و" الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها ".

رحمك الله أخي أبا بلال

أصدق الدعاة من استطاع أن ينقل دعوته لغيره، وبخاصة أهل بيته وأقاربه وكنت من هؤلاء.

حتى وإن اختلفت مع بعض السائرين على طريق الدعوة الإسلامية، ولربما كنت تظن أن في الوقت متسعاً للمراجعة والحوار ، ولم تعكس هذا الاختلاف على أهلك وأقاربك بل حرصت على تحسين صورة الدعوة والثقة بها عندهم، وهذا ما لمسته بعد وفاته رحمه الله من أهله وأبنائه تجاه الحركة الإسلامية.

كنت أقرأ المودة في عيون إخوانه وأبنائه وأهله، حتى إنهم أصروا على أن يكون الرأي الأخير في موضوع متعلقات حادث السير الذي قضى فيه رحمه الله، هو لقيادات في الحركة الإسلامية، بل وأن ينطقوا بما يريدون في جاهة الصلح، وهو فعل الكبار المتأثرين بمدرسة التواضع والوفاء التي كان يتمتع بها " كمال" رحمه الله.

ولقد حمدت الله تعالى مراراً حتى مع مرارة الفراق، أن الله أبقى في عقب "كمال" وأقاربه من سيحافظ على تاريخ الرجل حياً وميتاً.

أسأل الله تعالى أن يتقبله في الصالحين وأن يجمعنا به في عليين، وأن يقر عينيه بذريته وأقاربه إلى يوم الدين، وأن تبقى رحم الحركة الإسلامية موصولة بهم لا تنقطع بوفاته.

اللهم آمين.

سالم الفلاحات

٢٠٠٨/٦/٩

إيــــه يـــا نفـــسُ بالرســـولِ تحـــامي

وعلــــــى هامــــــة الزمــــــان تهـــــادي

مــــا مـــــديحي لســـــيد الكـــــون إلا

بعـــض مـــا حـــق مـــن جميـــل اعتقـــادي

ودعــــــــائي أن يقبــــــــل الله مـــــــني

كلمــــات جـــاءت بــــذوب فـــؤادي

كـــن شـــفيعي يـــا ســـيدي ورســـولي

إن قلــــــبي إلى الشــــــفاعة صـــــادِ

د. كمال رشيد

ورحل كمال رشيد(1)

★د. مأمون فريز جرار

أشهر ثلاثة ثقيلة طويلة مرت على أسرة كمال رشيد ومحبيه، كان الحادث الذي أصابه من العيار الثقيل أدخله غرفة الإنعاش، ومع أنه في الأيام الأولى لم يغب وعيه تماماً، لأن الحادث لم يأخذ مفعوله بعد، إلا أنه بعد إجراء عملية دخل في غيبوبة، وكانت الأدوية المسكنة تعمل عملها في تغييب الوعي، وكان المحبون له يتقاطرون على زيارته حباً له، ولهفة عليه، ورغبة في معرفة آخر أخباره؛ وكنت أنا من البداية على صلة بابنه بلال، ولم أزره لأنني أرى أن المريض في غرفة العناية الحثيثة لا يزار؛ وما يحدث عندنا هو سيطرة للعادات على القوانين الطبية.

كنت أتابع حالته على الدوام وأدعو له، بل فتحت في مدونتي على موقع (مكتوب) مجالاً للدعاء له والتعبير عن المشاعر تجاهه، وأحسست أن هذا الذي فعلته كان له بفضل الله أثر نفسي كبير في هذه المحنة، وجدت صداها الطيب لدى أبنائه وآله وتلاميذه وزملائه ومحبين جدد عرفوه من خلال ما كتب عنه، ولما علمت أن حالته قد تدهورت، وكاد خبر وفاته يعلن صبيحة الجمعة، ثم زرته ودعوت له وكانت زيارة وداع إذ أعلنت الوفاة يوم السبت ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٨ رحمك الله أخي أبا بلال وأحسن العزاء فيك وكم أحس العزاء فيك، وكم أحس أهلك بمنزلتك في مرض وفاتك لقد وجدوا مشاعر وسمعوا مواقف وسردت عليهم من المحبين لك حكايات، كلها رفعت من رصيدك لديهم وجعلتهم يزدادون اعتزازاً بأبوتك لأبنائك وإخوتك وكل الصلات التي ربطت أقاربك بك وكانت جنازتك مشهودة كثر الداعون لك والمترحمون عليك.

لقد رحلت يا أبا بلال ولكن لم يختم على صحيفة عملك فقد تركت من

---

(١) جريدة اللواء الأردنية ١/ ٤/ ٢٠٠٨م.

بعدك علماً ينتفع به، وذرية نحسبها صالحة يصيبك أجر دعائها وصالح عملها؛ وصدقات جارية تركتها، فرحمك الله وتقبلك في عباده الصالحين، وتبقى المسؤولية كبيرة على أبنائك أن يواصلوا المسيرة ويكونوا على قدر المسؤولية التي حملتهم إياها وعليهم واجب جمع تراثك في أعمال كاملة، تضم حصاد عمرك، وثمرات عقلك ليمتد الأجر لك ما بقيت بين أيدي الناس

رحمك الله ورحم من سبقنا من إخواننا الصالحين.

فارس الأدب الإسلامي يترجّل[1]

د. عمر عبد الرحمن الساريسي

انتقل إلى رحمة الله تعالى، قبل عدة أيام، الزميل والصديق والأخ الدكتور كمال رشيد، بعد معاناة، امتدت ثلاثة أشهر، إثر حادث مؤسف، أفقده الوعي وحمله على الصمت المطبق، بعد عمر حافل بالدفاع عن الأمة وقضاياها ومشكلات الظلم، الذي حاق بأطرافها، على أيدي الأجنبي الغاشم.

والحديث عن أبي بلال يخرج مرة من القلب الثاكل؛ ومرة عن العقل الذي يحسب الأوزان والمؤثرات.

فمن عرف أبا بلال فإنه، لا شك، شاعر بالفقد الأليم، فقد كان -رحمه الله- طيب القلب، صافي السريرة، لا يكاد يظن بأحد شراً، فلا تجده مغتاباً لأحد؛ ولا ساعياً بين معارفه إلا بالخير، ومبلغ ظني أن الله سبحانه قد وهبه أبيض خالصاً للحب والحياة والخير والإيمان، فلا تستغرب إذن، يا أخي القارئ أن تدهشك ملامح وجهه، حينما تجلجل ضحكته، فيغمرك بِشْره، وتحسب أنك بين يدي فرصة من فرص السعادة البشرية المتميزة، إن أبا بلال كان يحب الجو المرح يستمع إليه ويرتاح إليه ويسهم فيه ويشكل منه عنصراً مؤثراً، ولكن والله يشهد أن هذا الجو الذي يثيره أبو بلال كان أبعد ما يكون عن سفاسف القول، وعن لغو الكلام، وسخيف المزاح، كان أعلى بطبعه عن هذا كله، ولا غرو فهو يحمل إلى إيثار الدعابة المرح همّ الأمة منذ أن أخرج من قرية (الخيرية) من أعمال يافا، وعمره سبعة أعوام، ليفتح عينيه وقلبه على النكبة ونتائج النكبة في مدينة نابلس وفي عمان.

---

(١) جريدة السبيل ٨ - ١٢/ ٤/ ٢٠٠٨

أجل كان يحمل همّ النكبة وهم الأمة المنكوبة، لذلك خرج على لسانه الشعر منذ مرحلة عمله الأولى في سلك التعليم في الجزائر، وصار منذئذ يشارك الأمة أتراحها وأفراحها إن كانت لها أفراح.

وفي أوائل السبعينيات تعرفت إلى كمال وهو يعمل في مديرية الوسائل التعليمية في معهد التأهيل التربوي في الجبل نفسه، ومنذئذ توطدت بيننا الأخوة؛ وكثيراً ما كان يدعونا لبيته هناك في جبل الحسين، ويقول اسمع ما يقول الصغار وكان أبناؤه إذ ذاك أطفالاً، اسمع ماذا ينشدون أثناء لهوهم وألعابهم إنها أناشيد إسلامية من صنع الأستاذ يوسف العظم، رحمه الله، أو من صنع أبيهم رحمه الله أيضاً.

لقد ربى كمال أولاده جميعاً على الأخلاق الإسلامية، وها هم أولاء الآن يتخذون مواقع إسلامية في أعمالهم وفي حياتهم، إن أبا بلال مربّ أولاً وآخرًا، ثم إنه من أبرز صنّاع الأدب الإسلامي في الأردن ثانياً، فضلاً عن أنه من حملة الفكر الإسلامي عقيدة ونظام حياة. ثم إنه قد أثبت أنه يستطيع أن يكون قائداً في دنيا الصحافة والإعلام، فقد كان رئيس تحرير لجريدة الرباط عدداً من السنين، ومشاركاته في جريدة الدستور بمقالات شبه يومية ظلت مستمرة إلى يوم الحادث المشؤوم. وفي دنيا الإدارة التربوية كان يعمل في المديرية العامة للمناهج الدراسية والوسائل التابعة لوزارة التربية والتعليم، كان يعمل رئيس قسم طباعة الكتب المدرسية، ولم يكن يتبعه غير موظف واحد، وقد أصدر عدة كتب تربوية مدرسية بجهد إداري ناجح، لم يكن ليسد مسده من الإثم كبير، جاء فيما بعد، سمي قسم الكتب المدرسية، يضم كثيراً من الموظفين المتخصصين.

أما دوره في الإدارة التربوية المدرسية فربما توّج به حياته العلمية كلها فحينما افتتحت جامعة الزرقاء الأهلية عام خمسة وتسعين وتسعمائة وألف، عمل أولاً فيها مديراً للمراكز الثقافية على أمل أن ينتقل بعدها للتدريس؛ ولم يكن قد حمل الشهادة

الجامعية الثالثة بعد. ولكن مركزاً آخر رؤي أنه لا يصلح له إلا هو، وقد نقل إليه؛ وغدا يزاوله إلى أن توفاه الله تعالى. إنه مركز المدير العام للمدارس العمرية بجميع مراحلها. لقد أعطى أبو بلال لهذه المدارس جل وقته، حتى لم يستطع أن يشارك معنا في نشاطات رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي كان فيها عضواً مؤسساً، وكان يقضي في المدارس أغلب ساعات نهاره، حتى أخذ خريجوها في الثانوية العامة يحصلون على معدلات عالية.

رحم الله تعالى أبا بلال بقدر إخلاصه في عمله من أول يوم في عمله إلى آخر يوم. إنه لم يكن يحابي أحداً ولا يتنازل عن الصواب فيه، أياً كان المستفيد من العمل. أما دوره في صناعة الأدب الإسلامي وهذا يظهر في كتبه كلها وخاصة في أناشيده الإسلامية التي صدرت في عدة أجزاء، وفي دواوينه الشعرية: (شدو الغرباء) و(عيون في الظلام) و(القدس في العيون) فهذا لا يوفيه حقه فيه إلا مقالات أكاديمية متخصصة آتية إن شاء الله تعالى.

في وداع الدكتور كمال رشيد

⋆ بقلم: محمد السيد

قال تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

أبا بلال .. وحبيبتك القدس، لم تلن لها قناة، ولم تنزل لها راية، وأنتَ المطالب الملحاح بها، ولن تضيع قدسٌ ووراءها مطالب عنيد مثلك، والموت ليس النهاية لبطلٍ سمقت خطاه، فهي في العلا القدسي، يظل وقعها يرن في فكرك، في شعرك الرصين، الذي منحته طعم الشهادة، وسلكته في دروب النور، تهمي تحريراً لمسجد الحبيبة الحزين، فترويها الأجيال خططاً من الإقدام والثبات على قول الله جل وعلا: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

أبا بلال ورأيتك قد قاربت قول الشاعر:

انطفأ الهُدْب ودب الحذر

في عَصَبٍ من شمم أو شرر

نام على هدهدة من رضى

والليل كفٌ فوقه حانية

أسلمها غفوته الهانية

أشمُّ من صلبِ اللهيبِ انحدر

ومن مقالع الذُّرا والصخر

نام على وسادة من رضى

ونام سيف كالردى يُنْتضى

كأن فجراً مثقلاً بالزهر

فامتدت كف روحي تصافح روحك، والألم المكبوت في قلبي يضج، وقد لفحته جمرات خوف الفراق، تتخفى خلف جفنين كانا مخزناً للأمل، وشعلة من كبرياء، لم تهز صاحبهما عروض الدنيا، وقد تجلت وزهت وازّينت، مذ كان السنديان العتيق ملاذ أفقه، وشريعة الله ناظمة خصبه وعطائه. فمن الندى عاشق السنديان، ومن الالتزام الملتصق بالسّور والكتاب، ومن الأمل الذي ظلت تحدوه بلاغات الحبيب المصطفى، نسج أبو بلال أيامه، وبها أَسْهَدَ لياليه، وأعمر ساعاتها، فكان الفارس المقدام، الذي لا يشق له غبار، في ساحات الجهاد بالكلمة والعمل، دؤوباً ثابتاً كالطود، يتبدى للسارين في هذه السبل كالأماني العِذاب، تنتظر اللقاء مع الحنين إلى منارات القدس ، وروابي الأكناف القدسية .

أبا بلال.. وماذا أقول في لحظة الوداع؟ هل يا ترى ودّعْتُ حبيباً، واستقبلت حزناً؟ أم إنها لحظة أقف فيها على بوابة العالم، لأهديه منك ذلك البقاء ، الذي لا ينقضي، وقد خلَّفْتَ به علماً ودروساً وشعراً، ومدرسة تربوية، وسيرة في الإصرار على المبدأ، تظل كلها تذكرنا بك، وتهدينا القدوة منك، إنه الزمان يعطيك قياده رغم الفناء، فمثلك لا تتجاوزه ساعات الحضور، ولا تُوَدّعه ساحات الفكر والأدب، فإذا كان جسدك قد غادرنا محفوفاً بالحزن والآهات، فإن يانع ثمرك، وصدق كلماتك، وناضح فكرك، لن تغادرنا أبداً ما حيينا، والأجيال ماضية وفيها أزاهيرك الفواحة ، وعطر مسيرتك في الدعوة ذات السماحة، وعزمات مواقفك، التي تبلغ ذروة الرضا في مرآة الأصحاب والأخصام .

إيه أبا بلال.. وبعدك أعتمت النهارات، لتشرق شمس ابْتَدَعْتَ أنوارها، فهي تضيء غبش أيامنا في غيابك، فطالما آنسَتْنا طموحات أحلامك، وأَرْخَتْ على لحظاتنا طمأنينة العرفان لفضلك ، ورَوْح الجلسات الفارهة، حيث كنا في حضرتك تنثر على من حولك من تلك الروح الوثابة آيات أنسك، وتنوُّعَ معارفك، لقد عرفتك وعرفت فيك ذلك الشاعر الطموح، والصحفي المبدع، والداعية اللحوح، والتربوي المتفوق، صاحب اللسان الحلو العفيف، الصادق العاطفة، تعلوه عزمات الرجال، وتخالطه طراوة الإيمان، وتصدح بقيثارته دواوين الأيام، وخبرات الأعوام، وكنتَ أبداً ذلك المتواصل مع الإنسان، لا يطربك مديحٌ فتختل الأقدام، ولا يرتفع اللحن بالقول عندك عن قيمة التراب، فبأجمل الألفاظ وأزهى المعاني، صغت كل تلك اللحظات التي عشتها بيننا، فهي أيام زاهرات، ولحظات فاعلات، وساعات قدوات، لكل من ألقى السمع وكان شهيداً على نظرات وفِعَال أبي بلال العظيمات .

ولئن دارت عربة الزمان، وتوقفت عند ساعات أبي بلال، وقد حان الحَيْن، ونزل القضاء، واكفهر وجه الزمان ، فأعلن: أن قد استنفد القنديل المضيء الزيت كله، وأن قد حوصرت لحظات العمر العزيز من أبي بلال، فحان حَيْنُه، وجاءت الساعة التي كانت طيلة الوقت بيد واهب الحياة، فداهمنا الخبر على حين غِرّة من انتظار المزيد من القطاف اليانع ، يدبجه يراعُ أبي بلال الفذّ، حتى إذا كان الربيع متفتحاً نَوْره، والأرض تَزّيَنُ كأنها على موعد للقاء مع الرجل الرجل، تدفقت جمرات المآقي من اللؤلؤ السخين، وتصدعت القلوب في ساحة الذكرى، واصطدم الشعور بلحظات النعي الحزينة، حيث يفارق الحبيب حبيبه الذي يكفن الآن، فمن للمُعَنَّى من بعده، يُكَفّن أحزانه، ويرقأ دمعه، ويؤنس صحراء الأيام من دونه؟ وها أنت أبا بلال تصعّد إلى دار الحقيقة، فتغادر الدار التي طالما عضتك التواءاتها، واعتدت على انفتاحك فيها نار الحسود، ولظى زيف المهزومين، فلم تتأثر بذلك رحلتك التي خلفتها وراءك، فهؤلاء هم أشبالك الذين نهلوا من علمك علماً،

وأخذوا من عزمك عزماً، واشرأبت أعناقهم إلى القدوة منك ، يخوضون بها لجة الأيام، فتذكرنا مسيرتهم ببعض ما كان منك، حيث بعثت الشعر مفتوناً بشذى الفرسان، يطؤون الذل وزمن الانكسار، ولا يلوون إلا على جبهات النصر ، تتفتح أوداجها على مثل الورد، مرتفع الهامة، فواح الشهادة، مديد القامة، فأنت في عين الردى، كنتَ وما تزال كلماتك في عينه تردد مع الشاعر المُجِيد قوله:

جبل الشـموس دعـوت سـارق نـاره ... لنضـــم أفـــواج السـنى ونُوحّـــدا

فالرعـــب نســر نــاهش أحلامنـــا ... حـــتى نـرجّ بهـا الجفـــون الرّقـــدا

نصحـــو لأن الليــل طـــال كأنمــا ... يأسٌ نضى الجلبـاب والليـل ارتـدى

وهــب الخلـود النـابغين ولـو حكـى ... كانـــوا أياديـــه الــتي لــن تجحـــدا

مــا كــان أغنـــى العبقريــة والعـــلا ... عـن أن تـروم بغـير شعــرك سـؤددا

ومضيت أبا بلال، ونحن على عهدك لا نقيل ولا نستقيل، فالسّرى تغذُّ الخطى، يحدوها جمال كلماتك، فتطوي، أيامنا.. على أمل اللقاء في مستقر رحمة ربك، مع الحبيب المصطفى في الفردوس الأعلى، فنم قرير العين هانيها، فالقوافي من بعدك تنشد من نور قوافيك العلا، وتطوي البطاح لتفوز بالفجر هطَّال الندى، يبلل منارات القدس بالحضور الموشح بصهيل كلماتك، التي طالما غرّدْت لعودة كريمة معطاءة، والسلام عليك أبا بلال، مطمئناً في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأحسن الله عزاء أهلك وأشبالك ، وأحسن عزاءنا، وألهم الجميع الصبر والسلوان على فراقك، ولا نقول إلى ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

مـن وحـي مكـة جـاء الـدمع هتانـا	حـــراً نقيـــاً يزيـــد القلـــب إيمانـــا
والشـــعرُ أينـــع في قلـــبي وأســـعفني	فكـــان ســـيفاً وأشـــواقاً وريحانـــا
صـــليتُ لله في البيـــت العتيـــق وقـــد	شـــف الوجـــود وزاد القلـــب تحنانـــا
ســعيتُ، طفــت، دعــوت الله في أمــل	قـــرأتُ في جنبـــات البيـــت قرآنـــا
وقــد تحللـــت مـــن ذنـــبي ومعصـــيتي	وقـــد تســـربلتُ بالطاعـــات هيمانـــا
وددتُ لـــو أنـــني أبقـــى علـــى ثقـــتي	أعيش في النـور، في الأشـواق أزمانـا

د. كمال رشيد

د. كمال رشيد كما عرفته

★ محمد حسن التل
رئيس تحرير مجلة الدستور

قبل أكثر من ثلاثين عاماً عرفت الرجل اسماً بارزاً على كثير من المناهج المدرسية، فقد كان أحد أبرز واضعي هذه المناهج في عقدي السبعينيات والثمانينيات من خلال عمله في وزارة التربية والتعليم كواحد من أبرز أعمدتها. وتقدمت بي السنون، وفي بداية التسعينيات عندما أصدرت الحركة الإسلامية جريدة الرباط الأسبوعية حيث تولى د. كمال رشيد رئاسة تحريرها، كتبت مرة في اللواء مقالا انتقدت فيه بعض أبواب الرباط. وفي أحد الأيام دخلت على والدي - رحمه الله - فوجدت عنده د. كمال رشيد - رحمه الله أيضاً - حيث قال له والدي بنوع من المزاح: هذا هو صاحبك، فبادرني د. كمال بسؤال أدخل إلى قلبي الرهبة والهيبة: أأنت محمد؟ فقلت له نعم. فقال لي: لماذا تنتقد الرباط على صفحات اللواء؟ أينتقد الرجل نفسه؟! نحن جميعاً في مركب واحد ويجب أن نتناصح لا أن ننتقد بعضنا بعضاً أمام الآخرين، هنا عرفت أن الرجل يتمتع بقلب متقد حرصاً على الدعوة وأبنائها. ودار حوار قصير بيني وبينه حول الصحافة الإسلامية، وبعد فترة تداخلت الأمور، واختلفت الظروف، وأوقفت الحركة الإسلامية الرباط، وعلى حد علمي عاد د. كمال في تلك الفترة الى مهنته الأساسية وهي التربية فتسلم قيادة المدارس العمرية ونهض بها نهوضاً كبيراً جعلها في المصاف الأولى بين المدارس الأردنية، وبنفس الوقت لم ينقطع عن الكتابة ونظم القصائد ، وتدور الأيام مرة أخرى ويبدأ كمال رشيد الكتابة في الدستور وتشاء الظروف والصدف الجميلة أن أكون مسؤولاً عن تحرير مقاله كمدير للتحرير ثم رئيسا للتحرير، وأعترف أنني كنت أتشوق بتلقف هذا المقال لما له من أهمية فكرية

وتربوية، وأعترف أيضا أنني كلما تحتم علي الظروف أن أحرر بعضاً من كتاباته ينتابني شعور بالرهبة وأنا أقف أمام أستاذ كبير من ناحية علمية ومهنية، وشيخ كبير من شيوخ الدعوة لا تقل هيبته عندي ومعزته عن والدي. ومن أجمل اللحظات عندما كان يبادرني- رحمه الله - بالاتصال مازحاً أحياناً، وزاجراً أحياناً زجر الأب لابنه، وناصحا مرات كثيرة.

كان الرجل الكبير د. كمال رشيد - رحمه الله- من القلائل الذين فهموا الإسلام على حقيقته في هذا العصر، فالإسلام بنظره دين حياة وفكر مستنير يضيء الدروب لذلك كان مقبلاً على الدنيا إقباله على دينه، كان يكتب في جميع شؤون الحياة كما يكتب في القضايا الإسلامية. كنت ألحظ إقباله على الحياة بشغف المؤمن وطالما مازحته كثيراً بمخاطبته الشيخ المودرن وكم كان - رحمه الله- يضحك عندما كنت أخاطبه بهذه الكلمة حيث كان يقول لي: كان أبوك رحمه الله هكذا يفهم الإسلام بعقلية حديثة مستنيرة. كان يقول لماذا المفروض على المسلم أن يتقوقع وراء جدران التخلف والانعزال بعيداً عن الحياة ، فالإسلام عكس ذلك تماماً فهو دين انفتاح وتسامح وضوابط الحياة الصالحة التي تكفل للمسلم حياة كريمة لا تعصب فيها ولا تحجر.

لقد كان - رحمه الله- مفكراً إسلامياً قل نظيره في هذا الزمن الرديء، الذي اختلطت فيه الأمور بين الدعاة والتجار. لقد كان أبو بلال واحداً من الدعاة الذين ظلوا على العهد حتى آخر نفس من أنفاسه، ولن يبدل دنياه بآخرته، لم يكن يغيب عني الراحل أكثر من يومين وفي ذلك الشهر الحزين وفي يوم ٢٨ ـ ١٢ شعرت أنه غاب عني أكثر مما يجب حيث مرت أربعة أيام دون أن يتصل، فبادرت بالسؤال عنه في مكتبه. لحظتها جاءني الخبر الصاعق أن الرجل الكبير يرقد على سرير الشفاء، يغط في غيبوبة عميقة نتيجة حادث سير مروع. لم أتمالك نفسي وخارت قواي عندما عرفت حقيقة وضعه، وأعترف أنني لم أستطع أن أراه في تلك الحالة

رغم شوقي وتحرقي لرؤية الأب والأستاذ والصديق، ضغطت على نفسي حتى تبقى تلك الصورة العظيمة في ذهني، ومرت الأيام ثقيلة، والدعاء لم ينقطع، والرجاء موصول أن يخرج الرجل من محنته ويعود لأهله ومحبيه وتلاميذه. ولكن شاءت الأقدار غير ذلك واختاره الله إلى جواره عندما جاءني الناعي يحمل خبر الوفاة دارت الدنيا بي وكادت قواي أن تخونني لولا إيماني بقضاء الله وقدره. مضى د. كمال رشيد وكعادة العظماء لا تعرف قيمتهم الحقيقية من شدة تواضعهم في حياتهم إلا بعد مماتهم.

رغم أنني كنت أعرف مدى عظمة هذا الرجل كداعية وأستاذ وشاعر ومفكر، إلا أنني عرفت بعد مماته أكثر مما كنت أعرف عنه في حياته. فالهزة الكبيرة التي تركها موته على مختلف الساحات الفكرية والإعلامية كشفت عن مدى عظمة الرجل ومدى مساحة الفراغ التي خلفها رحيله.

رحم الله الأب والأستاذ والصديق د. كمال رشيد وعوض الأمة عنه خير عوض ولا نملك إلا أن نقول: إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا على فراقك يا سيدي لمحزونون.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

شادي الغرباء

د. راشد عيسى

جامعة البلقاء التطبيقية

انفرطت حبة رمّان الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨م واضطر أكثر من ثلث حبّ الرمانة إلى الهجرة القسرية من قراهم وديارهم إلى الجزء الثاني من فلسطين (الضفة الغربية) وإلى الأردن ولبنان وسوريا والعراق وجغرافيات أخرى من العالم، وترك المهجّرون خلفهم قلوبهم مزروعة حول بيوتهم المهدّمة، وأملاكهم المغتصبة، تركوا المكان يبكي أهله وذكرياتهم، تركوا الزمن الفلسطيني مقطوع الأطراف ينادي على الأطفال الراحلين مع ذويهم، [لا تنسوا أن تعودوا إليّ أيها الفرسان الصغار... لا تدعوني وحيداً أنزف... ولكني أعاهدكم ألا أموت، فعاهدوني أن تعملوا على شفائي].

كان كمال رشيد أحد هؤلاء الأطفال الفرسان الذين أدركوا ما قال الزمان وما بكى المكان، وظل طوال الطريق من قريتهم [الخيرية] إلى ضواحي مدينة نابلس حاملاً مفتاح بيتهم في يده اليمنى، وغصناً صغيراً كان قَطَعه من شجرة لوز في حاكورة جدّه.

استقر الطفل مع أسرته في السفح الغربي من الجبل الشمالي. في مدينة نابلس جبل [عيبال] قرب عين شهيرة كانت تسقي أغلب سكان المدينة اسمها [عين بيت الماء]، سكن مع أسرته خيمة كسائر اللاجئين الفلسطينيين، وخلال سنوات قليلة بنت وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في ذلك السفح وحدات سكنية بدلاً من الخيام، وسمّي المخيم (مخيم عين بيت الماء أو مخيم رقم ١) لأنه أول مخيم بني للاجئين سواء في فلسطين، أو في الدول العربية. لم يكن عدد سكان المخيم يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة، وكان أغلبهم من قرى يافا والجليل [يازور، سلمة، الخيرية،

الرنتيا، الجماسين، البروة، أم الفحم وغيرها من القرى]. كان الشارع الرئيسي بين نابلس وطولكرم يخترق منتصف المخيم. أما بيت أسرة كمال رشيد فكان في القسم العلوي من المخيم، وهو قسم مرتفع يطل على وادي التفاح الشهير بجودة خضراواته وفواكهه، من تين وتوت وإجّاص وعناب وماء زلال يسقى المزروعات، ونسيم طازج مبلّل بشذا الأزهار الجبلية ونكهة الزعتر البلدي وترانيم سنابل القمح.

أذكر أن كمال رشيد وكوكبة من أصدقائه كانوا يقضون أغلب أوقات ما بعد الظهيرة حتى المساء إما في الجبال القريبة من المخيم، أو على ضفاف وادي التفاح، حيث كان أبي مزارعاً في ذلك الوادي. كان كمال يطالع دروسه ماشياً ببطء يتهجى ما في الكتاب، ويتهجى كذلك مستقبله، كان أكبر مني بـ عشر سنوات، فنلحقه أنا وبعض أصحابي لنسأله عن مسألة صعبة في الرياضيات، أو آية كريمة من القرآن الكريم، كان لطيفاً معنا حتى عندما كان ينهرنا لنترك اللعب، ونمضي لحلّ واجباتنا، كما أذكر أنه طالما قدم مواعظه ونصائحه إلى من هم أكبر منا سناً وأصغر منه كذلك مثل الشيخ أحمد نوفل الذي كان جدّه عَلَماً بارزاً في المخيم، وقوراً طويل القامة يضع على رأسه عمامة خضراء طول العام، وفي يده سبحة بنية أطول مني، ولطالما بنى بيوت الطين وأسوار الطين لبعض الأهالي.

كان كمال رشيد الشاب الأطول قامة وخُلُقاً وعلماً وصمتاً وقرباً من الله، فترك آثاره الحميدة على جيلين، جيل الدكتور أحمد نوفل، كإبراهيم أبو سريس، ومحمد السكران، وعبد الكريم تيّم، وعبد الرحيم السلع، وأحمد الحاج علي، وفوزي أبو مريم، وجيلي أنا، وشقيقه سفيان وصالح درويش ونعيم حمدان ويوسف أبو ربيع ومحمود القرو ووفيق المرقة وموسى خضر وخالد القدومي ووليد شهاب ولطفي أبو الهيجا ومحمد سعيد طه (رحمه الله) وفهمي أبو سريس وغيرهم العشرات.

وعندما أقيم مركز الشباب الاجتماعي في المخيم كان اهتمام كمال رشيد منصبّاً على الجانب الثقافي والديني، وبمشاركات نادرة، إذ كان مشغولاً بالإجابة عن سؤال العلم والمستقبل.

أثّر كمال رشيد في جيلين بعده فكان هو رمزهم، وصار بعضهم من الأطباء والشعراء والأكاديميين والمهندسين والمتنورين بالفكر والثقافة. ثم أثّر في أجيال متلاحقة من خلال عمله رئيساً لقسم اللغة العربية في مناهج وزارة التربية والتعليم الأردنية، ومن خلال أناشيده المدرسية، ولا سيّما في الدين والوطن، ومن خلال مقالاته الصحفية، وكتاباته في سائر مجالات التنوير والمعرفة.

بدأ حياته الأدبية شاعراً يغني للغربة كبلبل جريح مسروق العش، ينفث آماله وآلامه بحسَرات مخنوقة، فأصدر ديوانه (شدْو الغرباء) الذي يعبّر عن أنين الشتات، ويصوّر مكابدات الشاعر في منافية وجغرافيات اغترابه، ثم ما لبث أن ازداد انتماء والتصاقاً والتزاماً بالشعر الذي ينوّر قلوب التائهين، ويزرعهم إيماناً وتقوى وعملاً صالحاً. فكثر حوله المريدون، وبات اسمه كالسراج المنير عند كل من عرفه وتعامل معه، كان ميالاً للعزلة، منشغلاً بما هو تربوي وإصلاحي، إلى أن عمل مديراً للمدارس العمرية، ليكمل مسيرته التي بدأها منذ كنت في الصف الثاني الابتدائي.

ولقد قلت في جريدة الدستور في كلمة استذكارية: [رحل شادي الغرباء وترك لنا الغربة] أجل رحل كمال رشيد وتركنا نكمل مسيرته في بناء الإنسان والحلم. كان كمال رشيد متوازناً في كل شيء، محبوباً من الجميع، حتى ممن لم يدوروا في مجرّته، يحترم الرأي الآخر، ويتقبّل النقد، ويبتسم ثم يلوذ بأجراسه التي ترن على استحياء وكبرياء في آن معاً.

عندما سمعت بنبأ رحيله تداعت إليّ أسماء سائر من علّمهم وأثرّ فيهم أو وعظهم، تذكرت عندما كان يذاكر بنهم على حافة وادي التفاح، في الوقت الذي كنت مع أبي أسري منذ طلوع الشمس؛ لأساعده في جمع الكوسا والبطاطا

والذرة...، وإثر خروجنا من الصلاة عليه يوم انتقل إلى جوار ربه تداعت أمامي صورة المفتاح الذي كان يحمله لحظة خروجه من الخيرية، وصورة غصن اللوز الذي كان يحمله في يده اليسرى... فالمفتاح أصبح رؤى ملتزمة بالفكر الديني الإصلاحي وبالحلم الوطني الذي لن يهرم، وغصن اللوز أصبح قلماً يكتب شعراً ونصوصاً فائقة من جماليات اللغة العربية، ثم أنبت برعماً نابهاً وهو ابنه الزميل الحميم (بلال) صاحب الخلق العالي، والعلم الوافر، وأذكر عندما رأيت بلالاً أول مرة قفزت إلى ذهني صورة والده الهادئ والحيي كينبوع يشق طريقه بين أضالع الصخور.

رحل كمال رشيد ولكنه لم ولن يرحل من ذاكرة وادي التفاح، ولا من قلوب محبيه وطلبته وأصدقائه؛ لأن الأشجار الأصيلة كالنخيل والزيتون لا تموت، إنما تترك بذورها تعيد دورة الحياة والحلم. فطوبى لك يا أبا بلال، وكُرْمى لمنجزاتك العظيمة، وبشرى لك في علّيين إن شاء الله.

يـــــا ربِّ لســـــــتُ أُبــــــالي

إن كـــــــان فيـــــــك ممــــــــاتي

فمــــــــــا حيــــــــــاتي إلا

بعـــــــضٌ مــــــــن اللحظــــــــاتِ

إنْ قــــــيس عمـــــــري بيــــــومٍ

في روضـــــــــــــة الجنــــــــــــاتِ

يـــــا ربِّ هـــــــذا زمــــــانٌ

ضــــــــلت بــــــــه خطــــــــواتي

ربــــــــي أتيتــــــــك أرجــــــــو

عفــــــــواً عـــــــن الـــــــزلاتِ

سيشــــــــرق الوجـــــــه مــــــني

وتنتهـــــــــــــي حســــــــــــراتي

إنْ كنـــــــتُ منــــــك قريبـــــــاً

إنْ فـــــــــــزت بالمرضـــــــــــاةِ

د. كمال رشيد

د . كمال رشيد
الوالد والصديق

⋆ د . سعد بن إبراهيم الخلف

يوم أن كنت طفلاً كنت أسعد حين يعاملني الكبار رجلاً ثم كبرت ونسيت ما كان، وحين عرفت الدكتور كمال رشيد وتوطدت علاقتي به وجدته يعاملني كصديق ورفيق وأنا في عمر أبنائه فتجدد عندي ذلك الشعور الجميل.

رحم الله أبا بلال فقد كان في مقام الوالد والأخ الكبير، فعلى الرغم من الفارق العمري الذي بيننا غير أنني لم أعرفه إلا صديقاً مخلصاً، ورفيقاً ناصحاً، وجليساً مؤنساً، وكل ذلك لم يقلل من هيبته ووقاره وسمته وقدره الكبير عندي، بل لقد كنت في أحيان كثيرة أشعر بالخجل من سماحته وطيب نفسه رحمه الله.

يقول المثل: (ليس العظيم من تشعر بحضرته أنه عظيم، لكن العظيم بحق من تشعر بحضرته أنك عظيم)، وهذا مصدر عظمة الدكتور كمال -رحمه الله- أنه يشعر من حوله بأنهم عظماء .

يعرف الكثيرون الأديب والشاعر الدكتور/ كمال، ويعرفه آخرون بالإداري الناجح، ويعرفه آخرون كأحد القيادات التربوية الفريدة في العالم العربي، لكني عرفته كأب وأخٍ وصديق ورفيق ولمست فيه أخلاق المؤمنين، ومكارم العرب وشمائل الرجال. هكذا أحسبه والله حسيبه .

إن الثناء على كرام الناس وإظهار محاسنهم والشهادة لهم بالخير هو من حق المؤمن على المؤمن، فالرسول ﷺ يقول: الناس شهداء الله على أرضه، ومن أداء الشهادة ثنائي على أبي بلال رحمه الله .

كما أن ذكر مناقب الفضلاء والتحدث بها ليس حديث مجاملة أو رياء بل هو

تذكير لأنفسنا وللمؤمنين بهذه المناقب، وأن أولئك الرجال الـذين مـدحهم النـاس مثل أبي بلال لم ينالوا هذا الثناء إلا لأنهم امتثلوا هذه المكارم مـن الأخـلاق، ولأن كلاً منا يود أن يُذكر بالخير، فعليه أن يحذو حذوهم، ويقتدي بسيرهم.

رحم الله الدكتور كمال رشيد، وقدس روحه، وغفر له، وأنزله منازل النبـيين والصديقين والشهداء، وأسكنه الفردوس الأعلى، وبارك في عقبه من بعده، وجعل أبناءه عيناً جارية له ولغيره، بالخير، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

د . سعد بن إبراهيم الخلف
نائب رئيس الرواد للتطوير الرياض

وداعاً أبي

⋆ إيمان كمال رشيد

ناديت وقلبي منكسر... يا رب العزة خذ بيدي، آجرني في مصيبتي... ما أصعب الفراق... فراقك يا أبي الحنون يؤرقني... مات فرحي... ذبلت ابتسامتي. موتك كسر قلبي بعد أن جبرته أنت بحنانك وعطفك عند وفاة أمي رحمها الله... ماذا أقول يا أبتي بعد ابتعادك عنا؟... سأشدو لك من شعرك الجميل؛ وأعبر عن بعض مشاعري الحزينة:

لفقدك جاد الدمع واستيقظ الحزن　　لبعدك يشكو القلب والشعر والوزن

وإن عُدَّ أهل الرأي كنت فقيدهم　　وإن عُدَّ أهل القول يشهد لك اللُّسن

لقد كنت في الدنيا لنا خير ناصح　　إذا ما ألم الخطب أو راعنا شأن

كم أشتاق إلى حضنك الدافئ الحنون... كم أشتاق إليك يا غالي! لقد كنت لي أباً وصديقاً ومربياً ومعلماً وناصحاً ودليلاً... ما زلت أرتوي بحنانك، وأنا أقرأ أشعارك وكلماتك... لكأنها قطرات من فيض حنانك الذي كنت أعيشه معك... ستبقى معي تواسيني.

أبي الحنون: تركت لي ولإخوتي أشعارك ذكرى وسلوة وعزة وفخراً... بأن الله وهب لنا أباً حنوناً معطاء. فقد قلت في أشعارك:

أنتم رجائي إذا ما خانني زمن　　وانهد جسمي ومس الوهن أعضائي

وأنتم الظل أهواه ويتبعني　　تتبع الطير يرجو نبعة الماء

لــو أن ريــح الصــبا مســتكم بــأذى لقلــت يــا ريــح لا تــزري بأبنــائي

آه يا أبي كم أنت كبير وحنون وعظيم وأنت فعلاً لنا الماء، نرتوي منه ومن حنانك وعطفك يا غالي، أنت لنا القوة والأمان... أنت رجاؤنا وأملنا وعزنا. ولن ننسى الحكم الجميلة التي قطفناها من شعرك عن هذه الحياة:

يــا مــن بكيــت علــى الحيــاة طــويلا وقعــدت تشــكو أهلــها والجــيلا

لا تقطــع العمــر القصــير تأوهــاً لا تقــض عيشــك في الحيــاة علــيلا

قــم وانظــر الــدنيا بقلــب مــؤمن تجــد الوجــود لــدى الجميــل جمــيلا

يــا روعــة الكــون العظــيم وحســنه كــــوني لروحــــي هاديــــاً ودلــــيلا

أبي الحبيب: افتخرنا بك حياً وافتخرنا بك ميتاً، وسنصبر يا أبي ونحتسبك عند الله ولن ننسى قولك وأنت تربي فينا الصبر:

فصـــبراً جمـــيلاً إنمـــا الصـــبر ســـلوة لمــن عــرف الــرحمن إن ضــامه الــبين

أبتي الغالي: غمرتنا في حياتك بعطفك وطيبتك وحنانك، وغمرتنا بمماتك بمحبة وصدق وفاء أصدقائك وأحبابك، فلقد واسونا يا أبي وكانوا ممن عرفوا الوفاء وعلموه، وكانوا فيضاً من الرجال والنساء...

طوقونا بفضلهم وحسن مسعاهم؛ وذكرونا بعبارتك التي قلتها في عزاء أمي رحمها الله: "إن الحياة بغير الناس مقبرة".

أيها المعزون: طاب مسعاكم وأحسن الله إليكم كما أحسنتم لنا، وجعل خطواتكم وكلماتكم في ميزان حسناتكم، وأنت يا من ملأت علينا الحياة والممات،

لك منا صادق الحب والإخلاص والدعاء، أن يقبلك الله في الصالحين وأن يجعلك أنت وأمي من أهل جنة النعيم.

لقد توجتني في الدنيا يا أبي باسمك الذي أعشقه وأفتخر به، وبإذن الله سأتوجك في الآخرة.

أقول لك ولأمي... لأغلى الناس على قلبي، لأغلى النسب، وداعاً... وأقول لكم: إلى اللقاء إن شاء الله – في جنات الخلد أجمعين.

يا صديقي لستَ في هذي الدنـا تملك شياً

لن تعيش العمرَ كـلَّ العــمر غضاً وقـويّا

إنَّ في كَرِّ الليـالي ما سيـطوي العـمر طيا

لستُ أدري هل سأبكي لك أم تبكي عليّا

❋ ❋ ❋

أخطأ الناسُ وقالوا: إنما العيشُ ابتسامـة

ذاك حق، غير أن الدهرَ قد يرمي سهامـه

فاجعل البسمـة والدمعة في الله كرامـــة

واجعل الخطوة في الله إلى درب السلامة

د. كمال رشيد

كمال رشيد. الطيبة الآسرة

★ د. عيسى برهومة

مارس كمال رشيد الحياة على نحو رمزي حيث الطيبة تترك سيماءها في كل شيء، وحيث التعاطي مع الكون على نحو مجازي، ولعل هذه الشِّرعة جعلته مختلفاً، وصيرته إنساناً لا يشبه إلا ذاته.

أذكرُ أن أولَ لقاء بالدكتور كمال رشيد كان قبل بضع عشرة سنة، حين تقدَّمتُ لإحدى المدارس لشغل وظيفة مُعلِّم، وكان وقتئذٍ أحدَ أعضاء اللجنة التي قابلتني، بدأ سؤاله لي عن معدلي في البكالوريوس، ثم قال: لستُ في حاجة لأن أسائلك في تحصيلك الأكاديمي، ولكن سأحاورك في موضوع أشكل على الباحثين قديماً وحديثاً؛ وهو الترادف في القرآن الكريم بين النفي والإثبات، فجرى نقاش في الموضوع وعرضتُ لما أميلُ إليه في هذه المسألة، واستشففتُ من نظراته قَبولاً واستحساناً، ثم مضى يعرضُ رؤيتَه في هذا المُشْكِلِ الذي اختارَه موضوعاً لأطروحة الدكتوراه، وتبدَّى من خلال النقاش تفاعلُه الحارُّ مع المسألة التي يقاربها، والتطلع إلى ما سيفضي إليه القول.

وحين فرغ الدكتور كمال رشيد من إنجاز أطروحته، نظرتُ في هذا العمل الجاد والمُجْهد، فأدهشني عمقُ التناول ومحاكمةُ الأقوال المتعددة، بالرغم من التباس الموضوع واعتياصه، بَيْدَ أنَّ د. رشيد قد نظم أطراف القضية في كتلة متراصَّة فياضة تلتحق بالروافد لتُشكِّل بحيرة تنطوي على عمق وتأسيس.

وإن حدَّقتَ في نأمات روحه وجدتَه مسكوناً بطفولته، مشدوداً إلى قريته وبساتينها وسواحلها، وأبراج حَمَامِها الشامخ فوق أشجارها الفارعات، وإلى جذوع تينها التي رسمت حدود القلب.

أبا بلال، لستَ في حاجة إلى شهادة لتعرفَ مكانتك الخاصة والعامة في حياتنا

العطشى إلى الكبرياء.

ولكننا نرسل بوحنا لروحك- التي ما عرفتْ الانحناءَ إلا لخالقها- لنعيدَ الحياةَ لكلمة غدت مهجورة من قواميسنا إنها(الوفاء) لأحيائنا وأمواتنا في زمن تعالت فيه مدائن الإسمنت، وطغى العدم على عذوبة الوردة.

هذه مناسبة صالحة لنقول لك: حقاً أننا افتقدناك، لأننا تلمسنا فيك بَريَّةً وطُهراً، عفويةً وزُهداً، فما غرَّتك الدنيا يوماً، وما خُضتَ لنَيْل عَرض زائل، وكأنك تنظر بعيني زرقاء اليمامة إلى عالمنا الذي تتدافع فيه النفوس لتضع السُّمَّ في كأس رفاقها. ترفعتَ عن خوافض الطموح وانحزتَ للجوهر، فانبسطت لك الأمور حقائق تستجليها بفهمك ورفقك.

حين كنا نجالسك تتملكنا أحاسيس روحانية كأننا في حضرة عرفانية، تأسرنا بهدوئك وتأملاتك، فتصيبنا بعدواك فنرتقي نحو البهاء، ونغادر الطيني فينا.

أبا بلال، لك المجدُ حتى ترضى ولك جنانُ الارتقاء، فقد سكبتَ في أرواحنا طُهراً ونُبْلاً، فاخضرَّ نعناعُها وحلَّقتْ في مدارات الشموس.

عيسى برهومة

الأديب الراحل / د. كمال رشيد
الإنسان .. في شخصه وشعره !

★د. عبد الجبار عبد الله دية
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
استشاري الأمراض الباطنيّة والصدرية

عرفته بادئ الأمر من خلال كتاباته في صحيفتي "الرباط و السبيل" ثم من خلال رابطة الأدب الإسلامي العالمية ثم من خلال إدارته للمدارس العمرية ..

ذاك هو المربي الإنسان.. والأديب الشاعر المرحوم كمال رشيد (أبو بلال) نسأل الله له الرحمة والغفران، ولذويه ومحبيه عظيم الأجر والسلوان ..

تراه لأول مرة فيترك في نفسك أثراً لا يمحى وجاذبية لا تُغفل، لُحمتها وسداها تلك السكينة الوادعة؛ والدماثة المحببة، قد جُمعت الإنسانية من أطرافها في شخصه، وكأن الشاعر عناه بقوله:

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرّف الناس إذ سوَّاك إنسانا

مرهف الحس كوتر العود، سريع الاستجابة ينفعل للأشياء، لدمعة الطفل، ومآسي الخلق؛ ونكبات الأوطان؛ وانتكاسات الأمة..

ذُكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها

تذكر ابنتي التي كانت في الصفوف الأولى في المدارس العمرية أنها وزميلاتها أحسسن بالبرد في يومٍ من أيام الشتاء، وكانت التدفئة توقف الساعة العاشرة صباحاً، فتذهب هي وزميلاتها مباشرة يشتكين له برودة الطقس؛ فيستجيب لهن ويأمر بتشغيلها دون إبطاء!

وتذكر أن طفلة في المرحلة التمهيدية كانت تأنف الدراسة وتكره أجواء المدرسة فما يزال يكرمها ويشجعها بالهدايا حتى رغبت في الاستمرار في المدرسة والانتقال إلى المرحلة الابتدائية .والأمثلة في الجوانب الإنسانية في شخصه كثيرة لا تكاد تحصى ..!

وقد تجلت إنسانيته في اهتمامه بأدب الأطفال؛ والنزول إلى مستوياتهم في الكتابة، ولا غرو فهم سواد المجتمع وأمل الأمة الصاعد ... ففي كتابه بعنوان" أناشيدي" افتتحه بقوله:

أحبائي

صغار اليوم

أبطال الغد الآتي

لكم جاءت أناشيدي

مع الأيام والسنوات

مع الأفراح والنكبات

من قلبٍ

يرى فيكم غِراس النصر والخير

فلسطين تناديكم

وفي الأردن ناديكم

وفي كل بلاد العرب والإسلام

صوت الحق يدعوكم

فهيا للغد الآتي

لنور الشمس

للإشراق والأشواق

للقدس ... !

كما تتجلى " إنسانيته " في حبه لوطنه فلسطين ، وقد قدر له أن يهاجر من مسقط رأسه في يافا وقد عاش نكبتيها ١٩٤٨م و ١٩٦٧م وما يزال يعيش آلامها وآمالها في سِجالٍ دموي؛ وصراع عقديّ حضاري مع الغاصب الدّخيل وهاهو ذا يُغني للقدس أولى القبلتين يقول :

القـــــدس في العيـــــون نفنـــــــى ولا تهـــــون

ونحـــــن جنـــــدها للنصـــــر ســـــائرون

* * *

مدينـــــة الخليـــــل لا تقبـــــل الـــــدخيل

النصـــــر شـــــأنها والـــــذل يســـــتحيل

* * *

وهـــــذه جنيـــــن يغمرهـــــا الحـــــنين

تجابـــــه العـــــدى دومـــــاً ولا تلـــــين

* * *

يـــــا غـــــزة الرجــــــــال   يـــــا ســــــاحة القتــــــال

يـــــا نجمـــــــة في الــــــدُّجى   فـــــــداك كــــــل غــــــال

*   *   *

والدكتور كمال رشيد يرحمه الله شاعرٌ مؤمن، رقيق الوجدان، صادق العاطفة، صاحب نفس تقية وروح صافية. يقول د. محمود إبراهيم في تقديمه لـديوان " شـدو الغرباء " عن شعره:

إنني أشعر بالارتياح حين ألمس المادة الشعرية التي يقدمها كمال رشيد مرتبطة بالإنسان ارتباطاً وثيقاً ، يبتدئ بعالم الأسرة وينتهي بالإنسانية الذي هـو في الغالـب الأعم تعبير عن أحاسيس صاحبه تجاه ذوي قرباه ثم تجاه من تربطهم بهم صداقات ومودات في وطنه والأرض التي عاشوا عليها، ثم تجاه الشعب العربي الكبير الـذي ينتمي إليه؛ ثم تجاه أمة الإسلام التي هو جزء منها وأخيرا تجاه بني البشر عامة .

ويقول عن النكبة الأولى عام ٤٨ م عندما قام الاحتلال الصـهيوني بالاعتـداء على مسجد حسن بيك في يافا ..

من تربـــة المجــد مـن يافـا وغوطتهـا   أتيــت أحمـــلُ آلامـــي وأخفيـــــها

خرجــت منها صغيــــراً لا أنيس لـه   ولست أدرك ما الدنيـــا ومـا فيــــها

وسرت في فلوات العمـــر ملتمســـا   نهــج الأبـــاة دروب الخـير أمشـيها

سـعيت للنور ليت النـــور يدركنـــي   حتى أخلــص نفسـي مـن مآســـيها

سـألت عن بلدي قالوا الغـزاة أتوا وروعـوا أهلـها، دكـو مبانيـها

سطرت حبي على الأوراق فانسـكبت على السـطور دمـوع العيـن ترويهـا

لا تسألوا اليوم عن يافـا وقصتـها يافا الأسـيرة قـد سـاءت لياليهـا

وأصـبحت طلـلا في الشـعر نـذكرها شـوقا إلى الـدمع في الأحفـال نرثيهـا

ثم كانت نكبة ٦٧ م أكثر إيلاماً بما علقنا عليها من أحلام، فإذا هي أوهام وجعجعة وكلام ارتدت على الأمة حسرات وآلاماً يقول:

عـلام أعيـد القـول أجـترّ مـا عنـدي وعندي من الآهات أضعاف ما أبدي

ألا يـا فتـاة الحـي لا تبعثـي الشـجى أقلي فإن القلـب فيـض مـن الوجـد

تُـرى لـو بكيـت العمـر مـاذا يفيـدني وقد طال ذاك الدمع إذ طال بـي سـهدي

فلسـطين حـبي مـا حييـت وإنـني سـعيد بهذا الحب ما طـال بـي عهـدي

ومـن نكـد الأيـام أنـي حرمتـها فـزاد حنيـن القلـب من ذلك الفـقـد

وقد تجلت إنسانيته وقلبه الكبير في وصاياه لأبنائه مـن بعـده وتوجيهاتـه لهـم دينياً وتربوياً ووطنياً يقول:

أوصـيك يـا ولـدي أن تحسـن الأدبـا أن تألف الدرس والتحصيل والكتبـا

وأن تكـون تقـياً؛ نابهـاً؛ يقظـاً وأن تقـدم للأوطـان مـا وجبـا

أن تجعـل القـدس في العيـنين ماثلـة   ألا تكل إذا مـا المعتـــدي غلـــبـا

هذي فلسطين صنو الـروح يـا ولـدي   وفي مرابعهـــا ســـفر العلا كتبـــا

عاشـت لنـا مثلمـا عشـنا لهـا زمنـاً   طابـت بنا مثلما طبنـــا بهـا حقبـــا

أخنـى الزمــــان وعادتنـــا ثعالبـــه   وطائــــر السـعد عن أوطاننـا غربـــا

حـل الـدخيل بـأرض لـيس يعرفهـا   وصاحب الأرض عن أوطانـه اغتربـا

وكذا في توجيهه للفتاة المسلمة إلى العفاف والستر والالتـزام في مواجهـة تيـار الفرنجة والانبهار والتقليد الأعمى يقول:

مـــاذا يضـــرك لـــو ســـترت جمـــالا   وحجبــــــت عنـــا رقـــــة ودلالا

يـــا مـــن تعـــرت للرجـــال غوايـــــة   لـــيس الجمـــال مـــع الحيـــاء محـــالا

في البيـــت أنـــت بحالـــة لا ترتجـــى   وإذا خرجـــت أتيتـــــنا تمثــــــالا

إن الجمـــال مـــن الإلـــه كرامـــــــة   للســـــالكات طهــــــارة وكمـــالا

وهـــو الســـبيل الى الضـــلال لغـــادة   تخذتـــه ســـيفاً مشـــــهراً قتـــــالا

رفقـــاً بجــــالك يـــا فتـــــاة تـــأدبي   صونـــــي جمالـــك؛ حققـــي الآمـــالا

وثقـــي بنفســـك أنـــت ســـر حضـــارة   عظمـــت وأعطـــت للـــورى أبطـــالا

وتعلمـــــي صنـــع الرجــال فإننــا في حــال حــرب تســتزيد رجــالا

لــيس الجمــال بنــوع ثــوب يرتــدى فــالثوب لا يعطــي النفــوس جمــالا

لكنمــا هــــــو في فــــؤاد طاهــــر عــرف الحيــــاة فضــيلة وكمــــالا

كما تجلت إنسانيته – يرحمه الله – في احتفائه بالشهداء الذين يقـدمون أغلـى ما يملكون في سبيل الله دفاعاً عن أمتهم ووطنهم:

كل القصائد للشهيد، للبأس للعزم الشـديد

للحـق للإخـلاص للإيمـان للنصـر الأكيـد

وقد رثا أديبنا الراحل الكثيرين من الشهداء وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، والدكتور الرنتيسي، والشيخ عبد الله عزام يـرحمهم الله جميعـاً ويغفـر لهـم ، وهـذا الأخير بعد أن جاهد في فلسطين ، انطلق الى أفغانستان يوحد الصـفوف ويخـوض المعارك إلى أن استشهد هو وولداه محمد وإبراهيم يقول:

لأنــك في فــم التــاريخ معلــوم ومشــهود

لأنك عنـد رب العـرش مرضـيٌ و محمـودٌ

لأنك في قلوب الأهل والأحبـاب موجـود

فمـا صـح الـذي قـالوه: عبـد الله مفقـودُ

* * *

فلسطين التي تهوى وفيهـا كانـت السـلوى

وقد حاربت أعداها ، وكنت السيد الأقوى

وعنكم أجمل الأخبـار مازالـت بهـا تـروى

تودعكم بفيض الحب تشهد فـيكم التقـوى

* * *

كما تجلت إنسانية الأديب الراحل في اهتمامه بقضايا أمته العربية والإسلامية من فلسطين إلى العراق ولبنان وأفغانستان ومن ذلك يقول:

والقـــدس غشـــّاها القتـــام وقـــد نـــــاح الأذان وصـــــوَّح المجـــــد

هـــذي العـــراق دماؤهـــا نزفـــت وعلـــى الحـــدود تمـــزق الـــودُّ

لبنـــــــان غربـــــــان تحركـــــــها لم يبـــــق فيهـــا طـــائرٌ يشـــدو

أفغـــان جـــاء الحقـــد يقهرهـــــا يـــا ويـــح مـــن يقتـــاده الحقـــد

فتـــــــنٌ تظللـــــــنا وتتركـــــــنا مِزقـــاً بهـــا عوراتـــــنا تبـــــدو

تنقضي حياة المرء وتبقى ذكراه العبقة وعرفه الطيب تملآن الفضاءات وتسيران بين الناس؛ وأشهد أن فقيدنا الأديب الراحل والمربـي الإنسـان قـد تـرك في قلوبنـا أسى وحسرة ..لكنه ترك لنا أيضاً ما يثري حياتنا وآخرتنـا ، ومـا يظـل لنـا نبراسـاً ونوراً ..

طبت أبا بلال حياً وميتاً .. وسلام عليك في الخالدين !

كمال رشيد ذاك الإنسان

• د. ياسين عايش
الجامعة الأردنية

عرفْته فارع الطول ممتلئ الجسم غير بدينه، كنّا نعمل معاً في المديرية العامة للمناهج والكتب المدرسية في السنة الأخيرة من عشر الثمانين، والسنة الأولى من عشر التسعين في القرن العشرين.

كان كمال رشيد يومها رئيسيَ المباشر في مديرية الكتب المدرسية، وكنّا زملاء في عمل تربوي آخر حين كنّا أعضاء في لجنة إعداد الخطوط العريضة لمناهج اللغة العربية لمرحلة التعليم الثانوي التي كان يرأسها أستاذي وأستاذه المرحوم الدكتور نصرت عبدالرحمن، وأذكر أن ذلك الفريق كان يتشكل من زملاء آخرين هم الدكتور محمد الوحش، والدكتور قاسم أبو عين، والدكتور عبدالله الخبّاص، والأستاذ محمد شعبان.

كان كمال رشيد- الذي سيصبح بعد حين الدكتور كمال رشيد بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية – إنساناً نبيلاً بكل معايير النبل الإنساني، وبكلّ القيم الإسلامية السامية. لا أذكر أنه أساء لأي من زملائه على اختلاف نزعاتهم وأهوائهم، مع أنه كان بينهم من كان يحاول التسلّق والتصيّد. كنّا نحبّ فيه ابتسامته العريضة التي يلقانا بها دائماً، وقهقهاته المدوية أحياناً. كان موضوعياً إلى أقصى حدّ في معاملته لزملائه، وفي تقديره لجهودهم. وأذكر حين أشرف العام الدراسي على الانتهاء، أنه أعطى كل زميل من زملائنا نموذج تقويم الأداء السري الخاص الذي تعدّه وزارة التربية والتعليم لتقويم أداء

العاملين فيها، وكان الأصل أن يملأ كمال رشيد بنفسه ما في هذا النموذج من خانات تقييم لأداء العاملين، ولكنه بإنسانيته آثر أن يقيِّم أو يقوّم كلّ موظف من العاملين معه نفسه ابتداء، ليناقشه معه فيما بعد، فإن تحيَّف أحدهم نفسه تواضعاً أو خجلاً أعاد إليه استحقاقه، وإن غالى آخر في حكمه لنفسه ردّه بموضوعية إلى استحقاقه الذي يجب أن يكون، وما أثار هذا الإجراء أحداً أبداً، بل زاد الرجل تقديراً، وازداد الناس فيه حباً وإجلالاً، لأنه – رحمه الله- كان كيِّسًا لبقاً، حسن المعشر، لطيف المخبر، بشوشاً لا من ضعف، ولكن من اقتدار وثقة عالية بالنفس، وخبرة رصينة ممتدة في معرفة معادن الرجال.

زارني برفقة الفريق الوطني لإعداد الخطوط العريضة لمناهج اللغة العربية في منزلي احتفاء وتهنئة لي بحصولي على درجة الدكتوراه في عام ١٩٩١، وقد استقبل أبنائي المهنئين، وكان بينهم ولدان من أولادي الذكور الستة، وكانا من مواليد المغرب، فقلت لكمال رشيد بالذات وعلى مسمع من بقية أعضاء الفريق، لأني أنا وكمال رشيد ممن كانوا تفيأوا في ظلال المغرب الندي الجميل، ومدنه الساحرة من وَجْدة شرقاً إلى طنجة شمالاً إلى الرباط والدار البيضاء غرباً،... حين أتاح لنا القدر أن نمارس مهنة التربية والتعليم في تلك الربوع العزيزة الغالية: يا أبا بلال، هذان الولدان من مواليد مدينة وَجْدة، فضحك مجلجلاً وقال معلقاً: كأنك ذهبت إلى المغرب لتنجب؟ وضحك الحضور. وكانت تلك الملحة ألذّ من وجبة الغداء التي تناولوها عندي.

كان كمال رشيد قريباً من نفسي، وأزعم أنه كذلك من قلب كلٍّ من عرفه.

وكثيراً ما كان يطربنا ويشجينا بشعره الإسلامي الروح، وبما يتدفق فيه من لمسات تربوية بنّاءة عميقة، وبلغته الصافية المحبّبة للناشئة، وبانتمائه لقضايا أمته العربية وعمقها الإسلامي، وكان فلسطيني الهوى والتفكير، وقد انصهرت هذه القيم كلها في نفسه وفي عقله، وفي نظمه ونثره، فصار كمال رشيد بهذا كله إسلامياً عربياً فلسطينياً.

فَجَعَتْنا بك الأيام يا كمال رشيد، فرحلت إلى عالم الخلود، فطوبى لك مثواك ثمة بصحبةِ الأبرار في علّيّين.

أخوك: ياسين عايش

لم يغب الدكتور كمال رشيد[1]

• د. نضال الشمالي/ جامعة البلقاء التطبيقية

كانت لمعصم الموت وطأة شديدة على ذوي الدكتور كمال رشيد في الأشهر الثلاثة الأخيرة، ولكنها لم تكن كذلك على الدكتور كمال رشيد نفسه الذي رحل عنا بجسده في تمام الثانية صباحاً من يوم السبت ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٨، فقبل هذا التاريخ بثلاثة أشهر استحوذ القدر على حضوره الذهني جراء حادث سير مؤسف كان له بالمرصاد دخل بعده الراحل في مصالحة غريبة مع ذاته؛ انطوى فيها على نفسه ثلاثة أشهر كاملة كان خلالها يلملم أوراقه، ويرتب أفكاره، وينظم ذكرياته، ويتأمل حياته دون أن تزعجه حقن المسكنات أو الأنابيب الملتفة حوله ولا صفير أجهزة رصد النبض والضغط من فوقه؛ تلك التي رافقته مرافقة السجان؛ دون أن يأبه لها أو يحاول التعامل معها.

كنت وما زلت- وأنا أقرأ في مدونة الدكتور مأمون جرار الذي خصص جزءاً كبيراً منها لمأساة الدكتور كمال رشيد، ذلك الالتفاف الرائع من ذوي الفقيد بالدعاء الموصول له بالشفاء بتناغم أسري عز نظيره- أقول كنت وما زلت ألمس أثر معصم الموت على كلماتهم وخدوش الخوف من خيارات الفقد. فتنفسوا بأنفاسه؛ وضبطوا قلوبهم على وقع نبضاته المتألمة؛ وهموا بهمته المترجلة، أما هو فكان قراره صارماً يسير إلى مراده رويداً رويداً غير آبه بتجهيزات الطب التي لم تحل بينه وبين قدره، حتى كان له ما أراد في ساعات مبكرة من ليل هذا السبت سبت الفجيعة والفراق وسكب الدموع، فخلَّف وراءه حزناً عارماً من مرارة فراق لا

---

(١) جريدة الدستور ٢/ ٤/ ٢٠٠٨

يستساغ، وهو القائل في كتابه "أشواق في المحراب" عام ١٩٨٨م.

يـــــا ربِّ لســــــت أبـــــالي
إن كـــــان فيـــــك ممــــــاتي
فمـــــــــا حيـــــــــاتي إلا
بعـــــضٌ مــــــن اللحظـــــات
إن قـــــيس عمـــــري بيـــــوم
في روضــــــــة الجنــــــــات
يـــــا ربِّ هـــــذا زمـــــان
ضـــــلت بـــــه خطـــــواتي
ربـــــي أتيتـــــك أرجـــــو
عفـــــواً عـــــن الـــــزلات
سيشـــــرق الوجـــــه مـــــني
وتنتهـــــــــي حســــــــراتي
إنْ كنـــــت منـــــك قريبـــــاً
إنْ فـــــزت بالمرضـــــاة

أعترف أن الموت حقيقة واقعة وتجربة لا بد منها، لها سطوة ورهبة عظمى، لكنها في حالة هذا الراحل الاستثنائي بعلمه وفكره وتربويته ودعويته النقية وقلمه وعنفوانه لم تستطع سطوة الموت أن تسكت أنفاس ذويه؛ فهم منه وامتداد له، ولم تفلح أن تحجب علمه ومؤلفاته؛ فهي تنوب عنه بالحضور، ولم تستطع أن تطفئ

بريق أشعاره فهي ترانيم على ألسنة الصغار تنشد وترنَّم، وتلاميذه الصغار والكبار يتذكرونه من طولكرم حتى عمان فهل يا ترى بعد كل هذا ويَزيد مات الدكتور كمال رشيد؟!

رحل بجسده فعلمه ينبض بيننا، وأشعاره تصدح في آذاننا؛ وفكره يكتنز في نفوسنا، لقد عرفت الدكتور كمال رشيد من خلال نجله بلال الذي كان ثمرة ناضجة شهية عن ذلك الأصل الطيب الذي منح فأسبغ؛ ونهض فارتفع؛ واجتهد فحقق، وسدّد فأصاب؛ وقال فأقنع.

إن نظرة عجلى نقيم بها إنتاج الدكتور كمال رشيد لتكشف لنا امتداداً عظيماً وموصولاً لا يحده نبض الجسد الذي سكن، فإنتاجه متنوع أكان في اللغة العربية أم في الشعر أم في أناشيد الأطفال أم في التربويات أم في الإذاعة المدرسية أم في المسرحيات الهادفة أم في الوقفات الإيمانية؛ ولكنه محكوم بفكر نقي وطرح أمين.

وهو في كل ما سبق لم يكن من المعتكفين في صومعة التنظير بل كان حتى آخر لحظة في حياته في الميدان التربوي والصحفي يسلط كلمته سهماً مصيباً في دائرة الحقيقة فشغلت الأمة العربية الإسلامية همه وصبغت قلمه بلونها، إذ لم يتوقف قلمه عن الكتابة الصحفية منذ ١٩٩٧ في صحيفة الدستور ولم يتوان عن مواصلة شعره الإصلاحي منذ عام ١٩٧٥ بدءاً من ديوانه الأول " شدو الغرباء" مروراً بـ" عيون في الظلام" و"القدس في العيون" وانتهاء بـ"نسائم الوطن"، فضلاً عن مقالته الأسبوعية في جريدة الدستور تحت زاوية " ظلال" تلك المقالة التي تشغل في بعض الأحيان برامج الصحافة العربية في القنوات الفضائية، يضاف إلى ذلك عضويته في أكثر من رابطة ومنظمة ثقافية وفكرية.

وبعد؛ فهل مثل هذا يمكن أن ينقطع ذكره وتلقى سيرته في غياهب النسيان، لا أعتقد ذلك وإن كانت أنفاسه قد سكنت ونبضات قلبه قد آذنت إلى توقف إلا أنه لم يمت رسمياً.

رحم الله الدكتور كمال رشيد وأسكنه فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون.

جئنـــاك جئنـــاك والأخطـــاء تثقلنـــا

لكـــن عفـــوك يـــا ربـــاه مـــأمولُ

نحـــن الضِـــعاف وأنـــت الله خالقنـــا

وحبـــلُ حُبِّـــك يـــا رحمـــن موصـــولُ

د. كمال رشيد

شهران مرّا[1]

★ بلال كمال رشيد

" خاطرة قلم وألم... بعد مرور شهرين على الحادث الذي أصاب الدكتور كمال رشيد".

شهران مرّا وأنت في عالم آخر...بعيداً عنا... عالم غريب المعالم عنك وعنا.. شهران مرّا ونحن إلى جانبك نجانب اليأس... ونرقب ما يبعث فينا الأمل في أن تعود إلينا... شهران مرّا على غير ما نحب ونرضى...نموت ونحيا... على إيقاع أنفاسك... ونبضات قلبك... وإيماءات عينيك... وحركات يديك... شهران مرًّا... ونحن نحتسي المر مراراً... نبكيك... نبكي أنفسنا... ليلاً ونهاراً... شهران مرّا وحولنا صحبك وبهم أكرم وأكبر... وقد التفوا حولنا سياجاً... وكانوا بمحبتهم لك ولنا سواراً!!

شهران مرّا وفينا قرآن يتلى صبراً ونوراً... شهران مرّا نعيشك ذكرى... ونعايشك ذكراً وفكراً... ونخشى ما كان سراً وشراً... شهران حملاني أربعين عاماً مضت... وأنت في كل ما أحياه حي تعطي... وما استطعت ولا أحسنت لك جزاء... أبي... يا أحب النداءات إلى روحي... يا قلب قلبي... ما أعياك يعيينا وما يشفيك يشفينا.

شهران..وما أدراك ما هما في فتية أحبوا أباهم وعشقوه كما لم يعشق أحد أباه... أحبوه وعاشوا سراً... واليوم أذاعوه للناس جهراً... في فتية ربما اختلفوا في كل شيء لكنهم فيه التقوا على قلب رجل واحد ولسانهم قال فيه شعراً... في فتية عرفوه كبيراً... معطاء... عف اللسان... ندي اليدين... عرفوه في عيون كل من

(١) الدستور: ٩/ ٣/ ٢٠٠٨.

عرفوه... ومن ألسنة من جايلوه وخبروه... فكانوا به كباراً.

أبي قم وانهض من سباتك... قم واسمع نشرة الأخبار... وتابع ما فاتك، واكتب ما شئت من الأشعار... فالحرب ما زالت تأكل الأحرار... قم وابك أمة تتهاوى... حيثما يممت وجهاً... أو أرهفت سمعاً... قم وجفف دمعنا... قم وانظر إلى أي حال حال أمرنا... قم فإنا إليك مشتاقون... وحياتنا بحياتك تكون...

ربي وأنت الواحد الأحد... يا من تحيي العظام وهي رميم... أحينا بشفائه... وأكرمنا بلقائه... واجمع شملنا به... وما ذلك عليك بعزيز.

وترجل الفارس

* أحمد موسى زقرط

كنت أعمل مدرساً في صناعة عمان عندما عَرّفني زميلي في العمل المهندس سعيد بدير على الأستاذ كمال رشيد، وذلك سنة ١٩٦٩ وكنا جميعاً نسكن في جبل الحسين، وتوطدت العلاقات العائلية بيننا وازدادت مع الأيام متانة ورسوخاً، وفي عام ١٩٧٤ تعاقدت مع شركة نفط سعودية، وذهبت للعمل هناك وعندما كنا نعود إلى عمان في الإجازات الصيفية كان أبو بلال يفتح لنا بيته وصدره، وفي جلسة جمعتنا مع الأخ المهندس سعيد بدير ولدت فكرة إنشاء جمعية إسكان الإمام الغزالي التي أصبح الأخ سعيد رئيساً لها.

وتحول الحلم إلى واقع؛ وصارت ضاحية الغزالي مزدهرة بالعمران؛ وفي القلب منها بيت الأخ الكريم كمال رشيد- أبو بلال-.

وأنا هنا لا أريد أن أتكلم عن الأخ الدكتور كمال رشيد الأديب والشاعر والمربي، فليس لي في هذا المجال باع ولا ذراع ولكنني سأتحدث عن جانب آخر، وهنا يحضرني ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عندما أراد أن يولي رجلاً إمارة أو عملاً فسأل عنه بعض الصحابة فأثنوا على الرجل خيراً فقال عمر: هل سافر أحد منكم معه؟ قالوا: لا، قال: هل تعامل أحد منكم معه بالأصفر والأحمر؟ قالوا: لا. قال: لعلكم رأيتموه قائماً قاعداً في المسجد، لا أحد منكم يعرفه. لقد شاركت أبا بلال في أكثر من مصلحة وأنا أذكر هنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

- عندما كان الأخ كمال معاراً للعمل في المغرب اتفقت معه أن يرسل كل منا مبلغاً من المال إلى المهندس سعيد بدير، وطلبنا منه أن نتشارك في شراء قطعة

أرض من أجل الاستثمار، وبالفعل تم شراء الأرض، وكنا فيها شركاء ومعنا أخ رابع، ومرت السنون وعاد أبو بلال من المغرب، وارتفع سعر الأرض قليلاً ولكن كل المؤشرات كانت تدل على أن لها مستقبلاً واعداً، وجاء الشريك الرابع وطلب أن نبيع الأرض؛ لأنه بحاجة ماسة إلى المال، فقلت له بأن عليك أن تصبر، فثلاثة لا يريدون البيع وأنت واحد. وهنا تدخل أبو بلال وقال: إن أخانا بحاجة ماسة فإما أن نبيع وإما نجد له طريقاً لكي نفرج عنه كربته، وقد كان.

- حصلت يوماً جفوة بسيطة بين أبي بلال وأحد الإخوة، وعندما علمت بذلك دعوت الاثنين إلى بيتنا، وتم بحمد الله حل الإشكال (وكان مادياً) وعندما تأكدت من أن النفوس قد طابت وعادت المياه إلى مجاريها، دعوتهما لتناول طعام الغداء في اليوم التالي. فقال أبو بلال ما معناه: لا أدعك تفوز بالأجرين وأصر أن يكون غداؤنا عنده، وفعلاً ذهبنا للغداء فوجدنا مائدة عليها ما لذّ وطاب، ولكن عناقهما كان عندي أطيب.

لا أريد أن أسترسل في ذكر مثل هذه المواقف فهي كثيرة، وأود أن أعرج على ناحية أخرى من هذه الشخصية الفذة، فقد كان سهل المعاشرة؛ قريباً إلى النفس ودوداً؛ ولم أسمع منه أو عنه أنه قال كلمة نابية قط، وكان جاداً في جميع أحواله؛ إلا أنه يمزح أحياناً.

- ذهبت معه مرة للسوق واشترينا بعض الأغراض ونقص المبلغ الذي معي حينها دينارين فدفعهما، وهو يقول: ماذا أفعل؟!، دائماً تستقرض مني، على كل أنت مدين لي، وأنا مدين لك، وما (في حد أحسن من حَدْ)؛ وقد كان قبلها بيومين قد استدان مني مبلغاً من المال.

- كنّا يوماً جلوساً عنده وطال النقاش حول موضوع ما، ولكن دون جدوى ولم نصل إلى حل، وحصلت فترة صمت قصيرة قطعها والتفت إليّ قائلاً: (والدوبار يا أبو أسامة) فضحكت وضحك معي، واستغرب الباقون فشرحت لهم أن كلمة (الدوبار) كان يقولها المرحوم والد أبي بلال إذا كانت هناك مشكلة ولم يجدوا لها حلاً.

- اشترى مني بيتاً في ضاحية الغزالي، وعندما كنا نتفاوض على طريقة الدفع قلت: تدفع لي خمسة وعشرون ألف دينار مقدماً، والباقي على أقساط. فقال بصوت فيه شيء من الحدة: لا، لا أدفع لك خمسة وعشرون ألف أبداً. فنظرت إليه بشيء من الدهشة، فتبسم وقال: بل سأدفع خمسة وعشرين ألفاً. فقلت له: هذا وقت الدراهم وليس وقت الإعراب.

• عندما طبع ديوانه الأول (شدو الغرباء) أهداني نسخة ثم قال لي: ما رأيك؟ فقلت له: شعر جميل؛ ولكنه لا يطعم خبزاً، ويبدو أنه أسرَّها في نفسه، فقد اتصل بي بعد فترة وقال: أرسلت قصيدة إلى إحدى المجلات فنشروها وبعثوا لي شيكاً بمئة دولار، وهذا أول الغيث المدرار. وكنت أعرض عليه أحياناً بعض ما أكتبه في علم الكهرباء لتصحيح الأخطاء اللغوية، وفي إحدى المرات عرضت عليه مجموعة من القصص القصيرة وطلبت منه إبداء الرأي وإن كانت تصلح للنشر أم لا. فكانت مفاجأة له، فقال: يا أخي اتفقنا أن مجالك العلم الصناعي؛ ومجالي الأدب فلماذا المزاحمة؟!. وبعد فترة زمنية سألته: ماذا فعلت بالقصص؟ فقال: لقد حولتها إلى المطبعة، وما عليك إلا أن تراجع الطباعة؛ ولكن ماذا تريد أن تسمي الكتاب. فقلت له: (قصص وعبر) فلم يعجبه الاسم، وقال: ابحث عن غيره؛ ثم قلت: نُسميه (حكايات وسمر) فلم يعجبه؛ وقال ابحث عن غيره، وبعد أيام اتصلت به وقلت نسميه (حول مواقد الشتاء) فأعجبه الاسم، وتم طبع الكتاب بفضل من الله، ثم جهود أبي بلال.

رحم الله أبا بلال فقد كان سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اقتضى. فإلى جنات الخلد يا أعز الناس، فقد تركت عندي فراغاً لا يملؤه غيرك، ومكانة في قلبي لا تليق بأحد سواك، أسأل الله أن يجمعني بكم في مستقر رحمته إنه على كل شيء قدير.

أحمد موسى زقرط الشراونه

أبو أسامة

أبواب من الذاكرة[1]...

★ وليد سليمان

غياب الشاعر "كمال رشيد" مؤلف أناشيد التلاميذ

د. كمال رشيد أستاذ جيل، وصاحب رؤيا إنسانية شفافة قريبة جداً من روح وعقل تلاميذ المدارس، في عدد من الدول العربية ومنها؛ الأردن، فقد قرأه ملايين الطلاب الصغار عبر أناشيده الرقيقة الواضحة السلسلة والمفيدة والتي تُعلي راية الوطن والمحبة والدفاع عن النفس والإخلاص في العمل، تقرأ لهذا المؤلف والمبدع الشامل هذا النشيد في كتبنا المدرسية مثلاً مقطعاً من قصيدة،، علم بلادي:

علم بلادي

رمز جهادي

للأبناء

والأحفاد

وهو العالي

فوق جبالي

يملأُ نفسي

بالآمالِ

يوم الحرب

يوم السلم

(١) نشرت في جريدة "الرأي" الأردنية العدد [١٣٧٠٩] يوم السبت ١٩ نيسان ٢٠٠٨م.

يرفع رأسي

يحفظ اسمي

وهذا النشيد السابق تحول إلى أغنية شهيرة؛ حيث لحنها الملحن الأردني المعروف إلياس فزع... وكثيرة هي الأناشيد التي قام بتأليفها هذا الشاعر والإعلامي واللغوي والتربوي د. كمال رشيد عبر مسيرته الإبداعية الطويلة، والتي من خلالها ساهم بإغناء المكتبة الأردنية بكم هائل من كتب ثقافية، وأدب الأطفال الأردنيين والعرب، حتى تتلمذ على يديه وأشعاره العديد من شعراء الأردن الذين تخصصوا بالكتابة لعالم الأطفال والطلاب... فقد ألّف هذا الأديب والصحفي والإذاعي د. كمال رشيد أناشيد أخرى كثيرة جرت وسالت على ألسن صغارنا كمجرى الماء العذب السلسبيل... ومن ذلك مثلاً أيضاً غنى للقدس وعمّان والأردن وفلسطين.

عمان يا عمان

يا زينة البلدان

حبك في فؤادي

على مدى الزمان

في البعد أوفي القرب

حاضرة في القلب

أدعو لها: يا رب

بارك بها، عمان.

والدكتور الشاعر كمال رشيد يعتبر واحداً من الوجوه الأدبية والوطنية البارزة في ساحتنا الثقافية الأردنية؛ ففي ديوانه المعروف (القدس في العيون) نظم شعراً

مؤثراً يدعم فيه انتفاضة الشعب الفلسطيني؛ وبالذات الأطفال الصغار (أبطال الحجارة) وهم يقاومون المحتل الإسرائيلي... دفاعاً عن الحلم والأمل والوطن والقدس.

علمتنـــا يـــا طفلنـــا الدْرســـا ذكرتنـــا مـــن قبـــل أن ننســـى

أنـــا لنـــا أرضٌ قـــد اغتصـــبت أن اليهـــود اســـتوطنوا القدســـا

أيقظتنـــا مـــن بعـــد مـــا خـــدرٍ أحييـــت فينـــا العـــزم والبأســـا

والأديب الأردني كمال رشيد كان في بداية حياته معلماً؛ علَّم الطلاب في كل من فلسطين والأردن والجزائر والمغرب حتى أنه أكمل دراسته في اللغة العربية وآدابها في المملكة المغربية؛ ومن ثم عاد إلى وطنه الأردن؛ ليعمل في قسم التأليف والمناهج المدرسية في وزارة التربية والتعليم الأردنية، حيث شارك العديد من لجان تأليف الكتب المدرسة الأردنية.

كمال رشيد شخصية تربوية متمرسة في عملها وثقافتها ومعرفتها في هذا المجال الهام والخطير، وهو (عالم النشء والأطفال) والذين هم اللبنة الأساسية لمجتمع ووطن الرجال القادمين مع السنوات ليصبحوا هم منارة هذا البلد ونماءه وقوته!! فقد ركز أيضاً في نشاطاته الثقافية والفكرية العمل على جلب انتباه الأطفال في مجالات أخرى منها: براجمه الدينية الإذاعية من إذاعة عمّان؛ ولسنوات طويلة؛ فقد كتب وأعد مسلسلات إذاعية مثل (أشواق في المحراب)؛ وبرنامج (الأسرة السعيدة)، هذا البرنامج الإذاعي والذي استمر بثه من إذاعتنا أكثر من (٣) سنوات متتالية... كما أعد برامج تلفزيونية وألقى محاضرات في كليات المجتمع؛ وعقد العديد من دورات للمعلمين.

وكان الدكتور رشيد عضواً في العديد من الروابط والجمعيات الثقافية الأردنية والعربية؛ كان يؤمن بأن الكلمة الموجهة لأطفالنا يجب أن تكون من الكلام الممتع والنافع، الذي يعمر قلوب الصغار وعقولهم بالإيمان بالله وبالنظر إلى ملكوت السموات والأرض، وحب الوطن والناس والوالدين والكتاب والعلم والعمل والنظافة والإيمان والنظام والعقيدة، والإشارة إلى المحن والمؤامرات والاحتلال والعدوان الذي يتعرض له الطفل العربي والمسلم؛ حتى يستنهض همم هذا الجيل الصاعد وليربطه بماضيه وبمستقبله المشرق المأمول إن شاء الله.

لذا فقد اتجه هذا الإعلامي والصحافي والإذاعي والمدرس الجامعي نحو البساطة في تأليف أناشيده الطفولية؛ ونحو العذوبة والرقة؛ وإلى التركيز على الجوانب الأخلاقية والسلوكية المحمدية الطيبة.

لذا فقد كتب يقول في قصيدة (إلهي) ما يلي:

إلهي وفيك يطيب الرجاء

ويحلو التذلل والانحناء

أتيت منيباً فكن لي مجيباً

فأنت الرحيم مجيب الدعاء.

كمال رشيد، المبدع والتربوي في ذمة الله[1]

⋆ ياسر الزعاترة

التقيته أول مرة عام ١٩٩٠ في مدينة بعيدة كنت أقيم وأعمل فيها، بينما جاء إليها في دورة ذات علاقة بعمله في وزارة التربية. وفيما كنت أعرفه من خلال دواوينه الشعرية المنشورة تبعاً لاهتمامي بنتاج الأدباء الإسلاميين، فقد تعددت اللقاءات أثناء وجوده في تلك المدينة. منذ ذلك الحين توطدت العلاقة بيننا، لاسيما إثر دخوله ميدان العمل الصحفي رئيساً لتحرير صحيفة الرباط التي أصدرتها الحركة الإسلامية مطلع التسعينات.

حدث ذلك رغم إقامته القصيرة في الحقل الصحفي، إذ غادره مرة أخرى عائداً إلى ميدان التربية الذي تخصص فيه وأبدع.

الدكتور كمال رشيد من الجيل الثاني في الحركة الإسلامية، لكنه لم يكن من النوع الذي يزاحم على المواقع والمناصب، وظل وفياً لعمله التربوي وإبداعه الشعري الذي كان من خلاله تربوياً أيضاً، سواءٌ أكتب للكبار، أم كتب للصغار.

في السنوات الأخيرة، أضاف، عليه رحمة الله، إلى نشاطه الأدبي والتربوي التقليدي نشاطاً كتابياً تمثل في مقالات دأب على نشرها في جريدة الدستور، وكانت تمثل ذات الخط الفكري والسياسي الذي ظل وفياً له طوال حياته.

في كل تجلياته الأدبية والكتابية والتربوية كان كمال رشيد يتدفق بتلك العاطفة الجياشة تجاه فلسطين والأردن والأمة العربية والإسلامية، الأمر الذي يلمسه كل من التقاه أو قرأ له، وما زلت أتذكر المرة الأولى التي رأيته فيها يقرأ بعض أشعاره

---

(١) نشرت في جريدة الدستور في ٣١/ ٣/ ٢٠٠٨م.

في مسجد المدارس في مخيم الوحدات خلال الثمانينات، حيث لم يتمالك نفسه وأجهش في البكاء عليه رحمة الله.

لم يتغيّر كمال رشيد حين تغيّر الكثيرون، ولم يزاحم أحداً على المواقع، وظل وفياً لأبجدياته الأولى، يحب الخير وينحاز إليه، ويحب فلسطين والمقاومة وينحاز إليها، تماماً كما يحب الإسلام وينحاز إلى قضاياه، بل يدافع عنه بطل ما أوتي من قوة وبلاغة.

كان الراحل عليه رحمة الله نموذجاً للمسلم الملتزم في نفسه وبيته وأهله وسلوكه، لا تجد أدنى تناقض في شخصيته، يحبه كل من عرفه وتعامل معه، الأمر الذي لا يتوفر بكثرة في ميدان العمل العام الذي تكثر فيه التناقضات بين المواقف الشخصية والمواقف العامة، وداخل كل منها أيضاً.

بين حين وآخر كنت أزوره في مكتبه في المدارس العمرية، آخر المعاقل التربوية التي أدارها بنجاح مشهود، فلا أراه إلا مشغولاً بهموم الأمة، بينما كان يدير المدارس بروحية أبوية، ويترجم من خلالها إبداعه في الميدان التربوي.

في حادث سير مؤسف، أصيب عليه رحمة الله ودخل في غيبوبته التي امتدت أسابيع طويلة إلى أن أسلم الروح إلى بارئها، ليرحل إلى ربه راضياً مرضياً، يشهد له بذلك كل الذين أحبوه وتذكروه وساروا في جنازته أو ترحموا عليه عن بعد.

نفتقد كمال رشيد في هذه الأيام التي نحس فيها بالحاجة إلى الطيبين المخلصين الذين تكبر بهم الأمم وتنتصر بهم الأفكار، لكننا نعزي النفس بأن هذه الأمة لم تتوقف يوماً عن إنجاب الرجال المخلصين.

رحم الله كمال رشيد، وأسكنه فسيح جنانه، هو الذي لن ينقطع عمله الصالح بما ترك من علم ينتفع به، وذرية صالحة تدعو له بالرحمة والغفران، إضافة إلى سيرة عطرة تهدي دروب السائرين على طريق الحق والفضيلة.

كمال رشيد... ويرحل شاعر وتربوي وإعلامي(١)

⋆ ياسر أبو هلالة

يحتاج " المستشرقون" الذين صاروا " خبراء في الحركة الإسلامية إلى عمل بيوغرافي لرجالات الحركة حتى يتمكنوا من فهم نشأتها وتطورها. اليوم يشيّع في عمّان الدكتور كمال رشيد، وهو واحد ممن يمكن اعتباره الجيل الثاني للحركة بعد الجيل الأول المؤسس.

كان المؤسسون مثل عبد اللطيف أبو قورة ومحمد عبد الرحمن خليفة وأحمد الطراونة ويوسف العظم وفريز جرار...يمثلون طبقة اجتماعية محترمة من تجار ومتعلمين وشيوخ تمثل واجهة الناس في الضفتين تلك الأيام. جاء الجيل الثاني ومنه كمال رشيد تعبيراً عن الطبقة الوسطى التي أخذت بالتشكل اعتماداً على التعليم والوظيفة بالدرجة الأولى.

في قرية الخيرية إحدى ضواحي يافا ولد كمال رشيد - رحمه الله - عام ١٩٤١، عاش النكبة صغيراً والنكسة يافعاً، وارتحل كمال مع أسرته إلى قرية " بديا" بمنطقة نابلس، ودرس بمدرسة بدْيا من الصف الأول الابتدائي حتى الصف السابع.

ولما ضاقت بهم الحياة لقلة الموارد هاجرت الأسرة إلى مدينة نابلس. وسكنت مخيم عين بيت الماء (١٩٥٦- ١٩٦٧م). ودرس كمال المرحلة الثانوية في مدرسة الجاحظ، وتخرج فيها... وفي تلك الفترة اتصل بالحركة الإسلامية في نابلس وشارك في نشاط طلابها".

ومع أنه بدأ العمل معلماً في مدارس مدينة طولكرم، إلا أن طموحه للعلم دفعه لمواصلة الدراسة الجامعية، فدرس في كلية الآداب بجامعة دمشق، ووجد في

---

(١) جريدة الغد الأحد ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٨م

التعليم سبيلاً لمواجهة مشاق الحياة وعلى رأسها الاحتلال. لا تزال صورته عالقة في أطياف الطفولة، كانوا " أسرة إخوانية" تجتمع عند الوالد. منهم كمال رشيد والدكتور عبد السلام العبادي وزير الأوقاف السابق. لم يكن الإخوان مجموعة ساخطين يريدون قلب الأوضاع. كانوا جغرافياً (جبل الحسين)؛ ووظيفياً من أبناء الطبقة الوسطى، لديهم رؤى فكرية تعتمد الإسلام هوية ومرجعية وأساساً للإصلاح.

بعدها، عرفت أبا بلال شاعراً من خلال ديوانه "شدو الغرباء" وفيه تجد أشواق الغريب عن وطنه المحتل؛ وتتلمس غربة الإنسان العربي المسلم في عالم يضيق به. على خلاف الشعراء الإسلاميين الذين ظلوا يحافظون على التقليدية في الشعر، كنت تجد شعراً حديثاً في ديوانه شكلاً ومضموناً، في وداعه تحضر أسطورة سيطرة الإسلاميين على وزارة التربية. فلم يكن كمال رشيد في الشارع وأحضر لعمل مناهج، بل كان ابن التربية والتعليم ورحل عن ٢٦ مؤلفاً بين شعر وأدب ونحو وكتب أطفال.

عملت معه في صحيفة " الرباط" التي كان رئيس تحريرها. في تلك الفترة لم يكن ثمة إسلاميون في الصحافة. وجاء للإعلام من بوابة الأدب، وبعقله المنفتح وصبره وسعة صدره تمكن من تأسيس نواة للصحافة في التيار الإسلامي تبلور لاحقاً في صحيفة السبيل. كانت الحركة الإسلامية في أوج حضورها الشعبي لكنها لم يكن لديها صحافة. على خلاف القوى اليسارية والقومية التي كانت تمتلك نفوذاً صحافياً من دون جماهيرية.

رحل عنا شاعر وتربوي وإعلامي، تاركاً وراءه إرثاً لا ينقطع وذرية صالحة وأجيالاً تربت على يديه. رحمك الله يا أبا بلال.

في رحيل كمال رشيد[1]

٭د. مصطفى محمد الفار

هو رحيل يمتزج بالحزن والأسى، والخسارة الكبيرة التي يحس بها كل من عرف كمال رشيد وعرف فيه وفاءه لأمته، وصدق الانتماء فيما يعبر فيه من خواطر وآراء في كتاباته؛ ويكفيه أنه كان موضع تقدير كبير من قرائه، وأصدقائه لدوره الإعلامي المرموق؛ فقد كان رحمه الله في الطليعة بين كتّاب الصحف اليومية، وكان لعاموده الدائب في صحيفة الدستور الغراء ما أسهم مع الأقلام النخبة الأخرى في ارتقاء هذه الصحيفة إلى المستوى الذي تتميز به اليوم من التقدم غير المسبوق بين الصحف اليومية الأخرى، وهي على أبواب عيدها الحادي والأربعين.

و لا غرو أن يتمتع كمال في كل هذه المزايا والخلال، فقد قضى فقيدنا- رحمه الله- معظم سني حياته يجاهد ويكد في حقول التربية والتعليم، وميادين الصحافة، ورحاب المؤتمرات الثقافية قبل أن يقعده حادث السير المروري المؤلم الذي وقع له قبل ما يزيد عن ثلاثة أشهر، ويتسبب له في هذه الغيبوبة التي لازمته حتى وفاته.

كانت حياة كمال رشيد صنواً لخاصيته، حياة حافلة، صنعها بفكره وقلبه وسخرها لنفع وطنه وأمته، وإيمانه بدينه وعروبته، ولم تفتر همته عن البذل والعطاء في مختلف الميادين، وقد أعانته هذه التجارب الطويلة على توليد ذوق فني رفيع، وأسلوب سلس، أخذ ينداح في جميع أعماله التي مارسها في حياته.

وهو في جانب آخر، مفكر إسلامي صادق وأصيل تشهد بهذا كتاباته في صفحة (في رحاب الله) في صحيفة الدستور، وعاموده في صحيفة الرباط التي كان يرأس تحريرها، فقد آمن رحمه الله بما حمله الإسلام من سمات في الحرية والاجتهاد والاعتدال في الفكر، كما كان لتحليلاته السياسية والاجتماعية أثر طيب في نفوس قرائه وزملائه ومحبيه.

(١) جريدة الدستور ٢/ ٤/ ٢٠٠٨م.

كان رحمه الله مرجعاً في الشؤون التربوية التي كانت له فيها جوانب مشرقة يشهد له فيها زملاؤه وطلابه على مدى أجيال طويلة سلخها من عمره في خدمة رسالة التربية والتعليم، وكان لإيمانه العميق بأثر التربية في ترسيخ دعائم المواطنة الصالحة، وتأسيس القيم والاتجاهات الإنسانية السليمة، ما عمق الصلة بينه وبين طلابه؛ وما حقق له هذا النجاح المتواصل الذي أهله ليتسنم صرحاً مهماً في المدارس العمرية في عمان هو منصب المدير العام لها.

في حقل الشعر، كان كمال رشيد شاعراً مميزاً، ظهر ذلك من خلال دواوينه الشعرية: شدو الغرباء، وعيون في الظلام، والقدس في العيون، ونسائم الوطن.

وله في أدب الأطفال فيض لا غنى عنه، كما أصدر عدداً من الأناشيد والكتب الخاصة بسلوكيات الأطفال للمراحل الدراسية المختلفة، هذا إلى جانب عمله في قسم المناهج المدرسية في وزارة التربية والتعليم، وإسهاماته في المؤتمرات التربوية والثقافية، ومشاركاته في الفعاليات الثقافية والمواسم الشعرية.

ومما يذكر، أن هناك قصائد له تدرس في مناهج بعض الدول العربية، وبعضها ملحن ومُغنّى، ومن كتبه: أناشيدي (جزءان) والخطأ والصواب، وأشواق في المحراب، وجني الإيمان، والشعر الحديث في الأردن (مشترك).

سار - رحمه الله - بخطوات واسعة في دروب الأدب، والتزم في شؤون وملتزمات العلم، واليقين العقلي، وانهمك في شؤون العبارة وطواعية اللغة، طامحاً إلى أن يشب بها إلى مستوى الرفعة والكمال.

عزاؤنا الوحيد بأبي بلال، أنه قد ترك لنا ما يجعل ذكراه دائمة لا تنقطع، فقد كان لعلمه النافع، وما تركه من آثار خلال عمله التربوي الدائب ما نفع به أجيالاً من المعرفة، ما يجعله ينقطع عن الحياة وهو خلي البال؛ فلتستقر روحك يا أبا بلال، فإن اسمك وذكرك يبقيان في لقاء مستمر مع المناقب الشماء، وليرحمك الله في عليائه، ويسكنك فسيح جنانه مع الصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.

له الرحمة.. ولنا بصيصٌ من نور

⋆ نبيلة الخطيب

إن الحمد لله نحمده ولا نجحده، ونشكره ولا نكفره، ونستعين به ونستنصره، ونستهديه ونستغفره، وصلاة وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين محمد ورضوان الله على أصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

أحاول في هذه الكلمة القصيرة رسم صورة لفقيدنا - رحمه الله – فهم أقلة الذين حملوا مشعل الأدب منارات دعوة ومصابيح هداية {وقليل من الآخرين} وأستاذنا الدكتور أبو بلال من القليل أسأل الله ذلك ولا أزكي على الله أحداً..

كأنه قبضة من فلسطين عُجنت بتربها المقدس، لوحتها شمس بحرها الجميل، فانطلقت بإذن ربها نفساً عزيزة أبية، تنافح عن الدعوة وتذود عن حياض الدين.

ذلكم هو الأديب الأريب الكاتب الشاعر الذي فقدناه قبل فترة، لتنثلم مشاعرنا بذلك ثلمة كبيرة، ضاعفت آلامنا وأدمت قلوبنا.

كان فقيدنا قوة فكرية من قوى الأمة الإسلامية، ونبعاً نهل منه أبناؤه ومحبو الأدب في كل مكان، كان قلمه مسلطاً كالسيف سيالاً كأعذب الأنهار وأصفاها، رائعة صورته، مشرقاً بيانه، كان له سلاح يخوض به المعامع، ويطاعن به الفرسان، وسلاحه قلمه، حمله سني حياته التي لم تطل.. قلم إن أراده هدية نبت من شقه الزهر، وقطر منه العطر، وإن أراده رزية حطم به الصخر، وأحرق به الحجر، قلم كان عذباً عند قوم، وعذاباً لقوم آخرين.

تفتح وعيه على قنابل الصهاينة تدك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأهلها يحزمون أمتعتهم ما خف منها على أمل الإياب السريع (....)

لله درك يا أبا بلال، حملت فكرة العمل والدعوة والقلم كأفضل ما تستقبل أمة عدوها الذي سلبها حريتها ولم تنس العهد الرباني في حمل الأمانة على ثقلها وكأني بك ترفع صوتك بقول الشاعر:

وإذا أتونـــا بالصـــفوف كـــثيرة جئنـا بصـف واحـد لـن يكسـرا

وظل فقيدنا يحن إلى الأرض المباركة ويافاه الجميلة يشده إليها شوق متجدد. وكتب في ذلك درراً أدبية يقول في إحداها:

مـن تربـة المجـد، مـن يافـا وغوطتهـا أتيــت أحــمــل آلامـــي وأخفيهــا

خـرجـتُ منهـا صـغيراً لا أنـيس لـه ولـسـت أدرك مــا الـدنيا ومـا فيهـا

وسـرت فـي فلوات العمـر ملتمسـاً نـهـج الأبـاة، دروب الخـير أمشـيها

سـعـيت للنـور، ليـت النـور يـدركني حـتـى أخلــص نفسـي مـن مآسـيها

سـألت عن بلـدي قـالوا الغـزاة أتـوا وروّعــوا أهـلـهـا،دكّــوا مبانيهــا

سطّرت حُبّي على الأوراق فانسكبت عـلى السّـطور دمـوع العـين ترويهـا

لا تـسـألوا اليوم عـن يافـا وقصـتها يـافـا الأسـيــرة قـد سـاءت لياليهـا

وأصـبحت طلـلاً في الشـعر نـذكرها شـوقاً إلى الدّمع، في الأحفـال نرثيهـا

يعد فقيدنا أحد رموز الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي وشخصية محببة ذائعة الصيت نالت حظاً من الإعجاب والقبول.

وقد ترك أثراً في الناس عن طريق كتاباته الصحفية والمنهجية والتربوية ودواوينه الشعرية، اختار الله الفقيد لنصرة دين الله وإعزاز كلمة الإسلام، لقد كان جهاده صورة مشرقة من جهود الدعاة الذين تربوا في هذه المدرسة المباركة– مدرسة الإسلام العظيم – فهو يعد من رجالات الفكر الإسلامي المعاصر، وقد تسنم مكانة في ميدان الدعوة الإسلامية وقد أُشربها قلبه وغنى بها لسانه وقلمه:

عـابـــوا علــيّ ترفّعـــي وإبــائي ... وتـمـسّـــكي بعقيـــدتي الغـــرّاء

قــالوا تقــيٌّ كيــف يصــبح شــاعراً ... أوَ تُنْسَــبُ التقــوى إلى الشــعراء؟!

أنــا نــور هــذا الكــون إذ أنــا مــؤمن ... والمــــؤمنون أبــــرّ بالضــــعفاء

قـدّمـــت للأوطــانِ مــا أنــا مالــكٌ ... وصــــبرت في السّـــرّاء والضّـــرّاء

وكانت الدعوة لديه تقوم على المناقشة الموضوعية الهادئة الهادفة، والحجة المنطقية القوية، مع بلاغة الأسلوب، ورصانة العبارة، خبرت ذلك من وقوفي على مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية. وقد خاض عدة ميادين فكرية، وكلها في سبيل تقديم الإسلام إلى الناس، وعرضه عرضاً قوياً مقنعاً، وتخليص حقائق الإسلام الصافية من كل الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام. حضاري التفكير، واقعي الرؤى، يفتش عن مواطن الداء في طريقة فهم المسلمين لدينهم، وكيفية تعاملهم مع واقعهم، وقد استطاع ـ في قدرة فائقة ـ أن يمزج بين توهج العاطفة واتزان التفكير وهو يتحرك في ميدان الدعوة مدافعاً عن الإسلام، ومقدماً صورته المضيئة للناس بقوة إيمان، وإرادة صُلبة، وعزيمة لا تلين:

اقتلونا

واسْجنونا

شرّدونا

مزّقونا

واسْملوا منا العيونا

ومن الأمّ من الابن من الزّوج احْرمونا

افعلوا ما شئتمُ

لن ترعبونا

لن تنالوا ما تريدونا

سنبقى ذلك السّيف الذي يصبح ألفا

نحن لا نقبل ذلا

نحن لا نعرف خوفا

* * *

في البراري

بعد أن ودّعت داري وصغاري

في الفيافي، والمنافي

في دروب القدس، في غزّةَ ، في نابلسَ

في يافا وحيفا،

في جنين النصر والفجر ارْصدونا

حاصرونا واقْصفونا

أبداً لن ترعبونا

* * *

اقتلونا

واسْحلونا

في ثرانا، بدمانا غيّبونا

سوف نبقى

عبقاً في الأرض ، جذراً ، وتراباً ، وحصادا

وشهوداً وعهودا

سوف نبقى

لنعيد الحقّ حقا

نسبق الأحداث سبقا

نزرع الأرض لتبقى

نأكل الصخر ونشقى

نركب الصّعب ونرقى

سوف نبقى

* * *

حقّق الياسين ما كان ابْتغى

بعده عبد العزيز انضمّ للموكب في ساح الوغى،

إنْ يمت ألفٌ، فألفٌ جاهزون

من فجاج الأرض، من تحت الرّكام يخرجون

في دياجي الليل، في الظّلمة، في وضح النّهار يطلعون

وينالون الذي هم ينشدون

إنْ قتلتمْ شيخنا الملتف في ثوب الجلال

ثم أتْبعتم بأُسْد، برجال كالجبال

فاعْلموا أنكمُ قدمتُمُ

خدمةً للأرض، للأهل، وللعشّاق

أذكيتمْ أفانين القتال،

وكذا الأيام تمضي

وكذا الحرب سجال

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا عليكم يا رجالاتنا لمحزونون،

أطلب من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت بعض التوفيق في الحديث عن فقيدنا الكبير الذي كان لي شرف المشاركة معه في غير أمسية على منابر الشعر..سائلة المولى الرحمن الرحيم أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يغفر لنا وله، ويجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.آمين.

كمال رشيد رحمك الله أيها المثال[1]

★ بقلم: د. عائشة الخواجا الرازم

وتعلن على الملأ في عطائك الإبداعي أنك دوماً للأجيال منحة كلمة طيبة (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فترجمت موهبتك الأصيلة مواقف ورؤى ثقافة شاملة ، حملت الخلق والدين والالتزام والمصداقية في صفحات الحياة، تلك الحياة التي عشتها قائماً في الليل، واقفاً على مشارف النهار، حاملاً لأمانة العمر الشريف والفكر النظيف، حتى لكأنك تيممت بقسم العهد أن تعيش مثال الرجال الوطنيين المتميزين عن غيرهم بنصاعة الفكر والدين، تعيش النقاء والخلق الكريم، بهدوء ترافقه ابتسامة لا تنطفئ، وصوت لا يعلو على عنق وحنجرة عابقة بذكر الله وكلمات التقوى والصبر، وروح مؤمنة زاهدة بالدنيا، لكنها مغمورة دفاقة بالحياة وحب اليوم كأنه الأبد، وانتظار الوداع بعطر الإيمان كأنه كل يوم في حياتك المحترمة الريانة بالورع والسهر والعمل والتفكير!!

عرفت الرجل المثال كمال رشيد منذ نيف وعشرين عاماً أخاً وكاتباً وشاعراً وعرفته مفكراً ملتزماً، وعرفت فيه الخلق والمواقف الثابتة المتزنة في العمل، وهو في زاوية المنهاج في الطابق الثاني للمناهج في جبل الحسين، يرافق أخاه الدكتور أحمد حياصات (أبو إيهاب) الذي كان مديراً للمناهج آنذاك، ويرافق أخاه المبدع الإداري والشاعر أحمد سليم حسن، وعرفت في كمال رشيد الرؤية البعيدة للأفق والأناقة العقلية، والمعاملة الأخوية الجميلة الواضحة الروح، وهدوء الشخصية المرنة في تعاملها وإدارتها للمواقف والحياة، وقد لفت نظري في ذاك المكان، حجم المودة المضيئة بين المديرين في نفس المديرية، وكيف كانت البشاشة والابتسامة تتألق

(١) جريدة الدستور ١/ ٤/ ٢٠٠٨م

على جباه الرجال، مما فُقد بل ضاع الآن وتزحلق من على أكتاف الكثيرين في المواقع، نعم لقد كان صاحب الخلق والصدق والدين، واليوم ربما هو كثرة التزييف والولع بالوظيفة والمنصب والزمالة المحترق في غيرة المنصب، نعم لقد كانت الدنيا غير هذه الدنيا، كأننا نتحدث عن ألف سنة مضت، وما أبعدها من عشرين سنة،؟؟ وكانت سنة ١٩٨٧م بالنسبة لي فترة التأليف وصدور كتبي الشعرية، وكنت قد توجهت للمناهج لتسليم مؤلفاتي للمناهج في التربية، فجمعني مع الدكتور أحمد حياصات وشربنا القهوة، وتعرفت على رعيل من الرجال الأكابر في الفكر والمواقف، أيام كانت المبادئ تعج بالصدق والهيأة العلمية في البشاشة والالتزام، وتحدثنا عن الأدب والشعر والحداثة، وأبهرني وأدهشني هذا الرجل الملتزم لصاحب الدين والرسالة في المبدأ والتربية، أنه حداثي، ورجل مبدأ ومسلم الأخوية كأنه في تيار عارم من الصلاة والذكر والكلمة الربانية الخالصة في كل لحظة من حياته، يعيش الأدب والفكر والشعر والوعي وتربية الأجيال والعلم والأسرة والحياة ويعيش الوطن والقضية كأنه ألف نفس وروح في صدر رجل واحد!!

أهداني أبو بلال كتابه (شدو الغرباء) وأنجز لي معاملة كتبي: عرس الشهيد، والقلب الخداج، وحسن الفلسطيني، وكتابي: الأسير، وكتابي: مرثاة النسور، ولم يتركني أكمل المعاملات، بل راح ينجزها وبكل هدوء وخلق متميز رسخ هذا المثال في معرفة وذاكرة أدب واحترام وصل حدود الأخوة الراقية، كأنه أخي ابن أبي وأمي!!

لم يتغير الأديب الكبير والمفكر، الرجل المتمكن من رسم شخصيته التربوية الورعة المستقرة في نزاهة الحياة المثال!!

لم يتغير عن لب القلم وقسم نون والقلم وما يسطرون، ولم يترك الوجع في

سهره ونهاره، والألم الأمانة في عنق العمر الشريد!!

ظل أخي الشاعر الأديب كمال رشيد صاحب نهج ومقال في جريدة الدستور لا يتوقف عن سبر أغوار القضايا بشمولية الفكر اللامنحاز، وباعتدال العقل، ونقطة الثبات والقوة في وسطية الارتكاز، وحمل عذاب التفكير والكتابة، وحمل هموم الدنيا السياسية وفلسطين، وظل محافظاً على القوة في العقل، والثبات في المقال بتميز، ومنهج تفكير، في صفحات لن تمحى ولن تزول بطيبة وعطر عطائه!!

رحمك الله ورحمنا معك والله يسكنك فسيح رحمته وجناته يا أيها الفذ المثال!.

كمال رشيد[1]

★ د.عبد العزيز أبو صقر

لم تكن عائلة الأستاذ كمال رشيد – رحمه الله رحمة واسعة- هي الوحيدة التي فقدته وتتقبل فيه العزاء، بل كثيرون هم أولئك الذين افتقدوه وأصيبوا بفقده، فكل من عَرفه وتعرف عليه أصيب بفقده، ومن أوائل الثكالى والمصابين فيه هي أسرته الكبرى، والدعوة الإسلامية التي نشأ وترعرع فيها وأعطاها كما أعطته، فرد إليها ابنها البار كمال الجميل بالتمام والكمال.

وممن أصيب فيه زملاؤه في رابطة الأدب الإسلامي، وكذلك الشعراء ومنتدياتهم الذين فقدوا بفقده شدوه لهم وللغرباء، وكذلك الحال بالنسبة للوسط الصحفي الإسلامي الذي كان رائداً بامتياز بترؤسه لصحيفة الرباط، فكانت خسارتهم فيه فادحة ومصابهم فيه جلل.

وأما ميادين التعليم عموماً والمدارس العمرية على وجه الخصوص فأصبح أطفالها وأشبالها وهيئة التدريس فيها أشبه بالأيتام لإدارة كانت من طراز تربوي فريد لها نصيب كبير من الكمال، وحظ وافر من الرشد والسداد، وهذا مما تفاءلت به العرب وتنبأت عندما قالت في حكمتها المشهورة؛ لكل اسم من مسماه نصيب.

لقد عرفت الفقيد الدكتور كمال رشيد مؤلفاً وشاعراً وتربوياً وإعلامياً قبل أن ألقاه، وكان أول لقاء حي ومباشر جمعني به يوم جاء إلى مأدبا يؤبن المرحوم أحمد الأزايده ويرثيه، ومن يومها توثقت العلاقة بيننا وتجذرت، وفي إجازة نصف العام هذا كان آخر لقاء ضمنا في منزل الصديق الأديب حسن قرعاوي... وبعدها كان ذلك اللقاء الرهيب الذي كم تمنيت أنه ما كان، وذلك عندما زرته وهو يرقد على

---

(١) السبيل ١/ ٤/ ٢٠٠٨م.

سرير المرض الذي توفي فيه، فنظرت إليه نظرة المودع، ونعيته لنفسي وأنا أنظر إليه وإلى من حوله وأردد في صمت عميق قول القائل:

تجلد يقول الصحب من كل جانب وكيف لضيف الموت أن يتجلدا؟

فهل أبصرت عيني صديقي أمامها أم النعي تذروه الجرائد أسودا؟

إن الذي يعزِينا في فقد الأستاذ كمال هو ما هدانا إليه رسولنا الكريم عليه صلاة الله وسلامه، وهو يعلمنا ويوصي كل من أصيب في أحبته أن يتذكر مصيبته فيه صلوات الله وسلامه عليه.

نعم سنصبر ونحتسب عند الله كل ما أصابنا في أحبابنا الذين نودعهم بكرة وعشياً، سواء هنا فرادى أو هناك في قوافل وجماعات من أفاضل أبناء شعبنا وشباب أمتنا على رمال غزة هاشم، وتلال فلسطين وروابيها، أو على ضفاف الرافدين.

ومما يعزينا أيضاً في فقد أحبتنا في هذا الزمان أنه تساوى الموت والحياة، إن لم يكن للموت فضيلة وميزة زائدة على الحياة، وذلك مما يراه الناس من كثرة المصائب وتداعي الفتن وهوان على أنفسهم وعلى الناس، فمما أخبرنا صلى الله عليه وسلم به عن الزمن الصعب في قابل الأيام قوله: " يأتي على الناس زمان يتمرغ الرجل على القبر يقول: "يا ليتني مكان صاحب هذا القبر، ما به الدين ولكن مما يرى من شدة الفتن والبلاء" هذا ما أخبر به وهو يقول: " ما من أحد إلا والموت خير له: ثم تلا صلوات الله وسلامه عليه قول الحق سبحانه ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ .

وهذا المعنى هو الذي أشار إليه عميد الشعراء بقوله:

ذلّ مـــن يغـــبط الـــذليل بعـــيش رب عـــيش أخـــف منـــه الحمـــام

وها نحن في اليوم الذي نواري فيه فقيدنا، نتوارى خجلاً مما حل بأمتنا العاجزة حتى على أن تجتمع في مؤتمر.

ويبقى عزاؤنا الكبير نحن المسلمين في إيماننا بالله وبالقدر خيره وشره، ونؤمن باليوم الآخر، وأنه سبحانه يحشر الناس يوم القيامة مع من أحبوا، فإن كان الأستاذ كمال قد غادر أحبابه وفجعهم برحيله، فإن له إخواناً سبقوه إلى رب كريم، ودعاؤنا إلى الله أن يغفر لنا وله، وأن يجمعنا به في مستقر رحمته " إخواناً على سرر متقابلين"، " في مقعد صدق عند مليك مقتدر".

في رثاء المرحوم بإذنه تعالى أبي بلال

٭ د. عدنان حسونة

لقد كانت أول معرفة شخصية لي بالمرحوم بإذن الله تعالى "أبي بلال" في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وكان أول لقاء لي به في مدينة الدار البيضاء المغربية، حيث كنا معلمَين معارين من وزارة التربية الأردنية، وشاءت إرادة الله تعالى أن نسكن متجاورين في حي واحد اسمه "بورنزيل" شرقي المدينة مع مجموعة من الإخوة المعلمين الأردنيين المعارين. فأعجبت يومها بتواضعه، ودماثة خلقه، وسعة أفقه، فتوثقت بيننا العلاقة، وكنا كثيراً ما نتزاور ونتبادل أطراف الحديث حول شؤون الأدب والوطن والأمة، لنكتشف بأن مساحة الالتقاء والاتفاق بيننا أكبر بكثير من مساحة الاختلاف والتباين.

وإنني أرى من واجبي في هذه المناسبة أن أتحدث عن محورين من محاور شخصية أبي بلال رحمه الله:

أولهما: (كمال رشيد) الأديب والكاتب، وأما المحور الثاني فهو(كمال رشيد) الإنسان والصديق.

لقد كان هَمُّ الاغتراب عن الوطن الأصلي " فلسطين"، والحنين الدائم للرجوع إليه، والشوق المبرح لهضابه وسهوله وشطآنه، والحرص الأكبر لرسم سبل العودة إليه، هو الذي كان يؤرق " أبا بلال " ويقض عليه مضجعه.

فلا تكاد تتفحص ديواناً من دواوين شعره، أو حتى قصيدة من قصائده، أو مقالة من مقالاته التي كانت تنشرها له بعض الصحف الأردنية وأشهرها صحيفة الدستور، إلا و تقف على حجم هذا الهم الكبير الذي كان يستحوذ على تفكيره،

وعلى هذا النفس الذي كان يغلف حياته، على أنه وهو يتناول هذا الهم العريض، لم يكن داعية فتنة بغيضة ، أو إقليمية مرفوضة .

وإنما كان يتناول فلسطين باعتبارها جزءاً من أرض الإسلام والمسلمين، سلب في غفلة من أهله، وأن واجب تحريره هو جزء من عقيدة المسلم ، باعتباره أرض الإسراء والمعراج الشريفين، وموطن النبوات والرسالات السماوية على مدار التاريخ، ويقتضي الإنصاف أن نذكر أن هَمَّ وطنه فلسطين لم يكن يمنعه أبداً من التفاعل والمشاركة مع قضايا وطنه الأردن وشؤون أمته العربية والإسلامية، ناصحاً، مربياً، ومشفقاً.

وأذكر في سياق اهتمامه بالهمِّ الفلسطيني، أنني حضرت مهرجاناً شعرياً بعد تعرفي عليه بأيام، وقد دعا لعقد هذا المهرجان أحد المنتديات الأدبية في الدار البيضاء، وكان فارسا المهرجان الشاعرين: كمال رشيد والشاعر الفلسطيني الأصل "محمود مفلح " فرج الله كربته، وأحسن خاتمته، والذي كان يعمل مدرساً في الدار البيضاء. وأذكر كم كان تفاعل الجمهور المغربي كبيراً وشديداً مع قصائد الشاعرين، حيث كان يقاطعهما بالتصفيق تارة، والهتاف تارة أخرى، تعبيراً عن تعلقه بفلسطين وحرصاً على تحريرها من براثن الصهاينة المعتدين.

أما عن كمال رشيد الإنسان والصديق، فلقد عرفت "أبا بلال" صفحة بيضاء، نقي السريرة، دمث الأخلاق، حلو الدعابة، وفياً لصديقه وجيرانه.

لم يكن لهم جميعاً إلا ذلك الوفي الذي يحرص على أن يكون عوناً لهم في التخفيف عما يعتمل في صدورهم، ويقض مضاجعهم، ولم يكن أبداً عبئاً عليهم ينفرون منه ويتمنون رحيله عنهم.

وأذكر أنني اضطررت لإنهاء إعارتي للمغرب قبل أوانها في نهاية سبعينيات القرن الماضي فكلفته بمتابعة مستحقاتي المالية التي لم أتمكن من الحصول عليها قبل

رجوعي إلى وطني، فكان نعم الأخ ونعم الصديق، حيث زارني في بيتي مع أسرته الكريمة في سحاب بعد انتهاء إعارته ليسلمني كامل مستحقاتي مدللاً على صدق أخوته، وجميل وفائه.

رحم الله" أبا بلال " رحمة واسعة، وغفر له ذنبه وأجزل مثوبته، وألحقنا به غير خزايا ولا مفتونين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د.عدنان حسونة

٢٠٠٨/٦/١٠

الدكتور كمال رشيد كما عرفته

⋆ محمد المشايخ

أتاح لي عملي في رابطة الكتاب الأردنيين، خلال السنوات ١٩٧٨-٢٠٠٧، فرصة التعرّف على نخبة من أهم المبدعين المحليين والعرب، وعدد غير قليل منهم، تركوا في نفسي ودّا يتجدد، وصداقة حميمة لا تنسى، وفي مقدمة هؤلاء المبدع الراحل الدكتور كمال رشيد، الذي كان عضواً في الرابطة، والذي كان يتردد عليها بين آونة وأخرى، في زيارات قصيرة عابرة، غير أن علاقتنا توطدت أكثر، في أحد اجتماعات الهيئة العامة للرابطة.

يومها جاء د.كمال مبكراً، وبدأ الاجتماع الذي كان من المقرر أن يبدأ عند الساعة العاشرة صباحاً، في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف، بسبب تأخر كثيرين من الأعضاء عن الحضور.

كان ذلك اليوم، يوم جمعة، ولم تكن هنالك انتخابات تـُجبر الأعضاء على التبكير في الحضور، يومها ضغط د.كمال على رئيس الرابطة، لبدء الاجتماع بسرعة، كي يتمكن والمـُصلين من ألأعضاء، من اللحاق بصلاة الجمعة.

لأكثر من ساعتين، أمضيت و د.كمال في حديث أدبي وتربوي وإعلامي عام، وشعري خاص، حدّثني فيه عن رحلته مع الشعر، وعن التطورات التي انعكست على قصائده حتى تلك الفترة، ورأيت فيه الأديب الكبير والمتواضع، والإنساني الممتلئ إبداعاً وعطاء، والأهم من ذلك أنه يجمع بين الأدب بمفهومه الفكري، وبين الأدب بمفهومه الأخلاقي.

أما عن لقاءاتنا العابرة، فتمثلت في استجابته لطلبي، وزيارته للرابطة عام ١٩٩٣، من أجل تعبئة النموذج الخاص بمعجم البابطين للشعراء العرب

المعاصرين، الأمر الذي أتاح لمؤسسة جائزة البابطين في الكويت آنذاك، التعرّف إلى شاعر مهم، ومن ثم نشر صورته والمعلومات المتعلقة به، وبرحلته الإبداعية مع نماذج من قصائده في المعجم في طبعتيه، حيث صدرت الأولى عام ١٩٩٤، وصدرت الثانية عام ٢٠٠٣.

كنت أعرفه وهو يعمل في "المناهج"، وحين اتصلت به هناك، قيل لي إنه يعمل في جامعة الزرقاء الخاصة، وقمت بتثبيت عنوانه وهاتفه الجديدين في سجلات الرابطة ، وعندما كلـّفني الصديق الشاعر عبدالله رضوان، بإعداد كتاب "أنطولوجيا عمان الأدبية"، اتصلت بهاتف الجامعة، فقالوا لي إنه انتقل للعمل في المدارس العمرية، وزودوني بهاتفه الجديد، وحين اتصلت به هناك، ردّ عليّ الأستاذ الأديب سليم أحمد حسن، وبعد أن تبادلنا التحايا، قدّم لي د.كمال رشيد، يومها أحسست أيّ إنسان رائع وكبير ومبدع هذا الذي أتحدث معه، كان استقباله لي عبر الهاتف أروع وأجمل استقبال، وبعد أن زوّدني بالمعلومات المطلوبة للأنطولوجيا التي صدرت مزدانة باسمه وبسيرته وبشعره عن أمانة عمان الكبرى عام ١٩٩٦، رجاني أن أزوره في المدرسة، وليتني فعلت، إذ كنت مخلصاً لعملي ومرتبطاً به أكثر من اللازم، فكانت خسارتي بعدم الاستجابة لطلبه كبيرة.

كنت أصغيت لقصائده التي ألقاها في الموسم الثقافي الذي أقامته وزارة الثقافة والتراث القومي في المركز الثقافي الملكي عام ١٩٨٩، وأوصلت قصيدته التي زوّدني بها لدار البيرق، التي نشرتها في الكتاب الذي أصدرته عام ١٩٨٢ تحت عنوان: (الشعر الحديث في الأردن: مختارات شعرية)، وحظيت بسيرته الذاتية ونشرتها في كتابي الصادر عن مطابع الدستور التجارية عام ١٩٨٩ تحت عنوان: (الأدب والأدباء والكتاب المعاصرون في الأردن) .

إن عدم التقائي به، وخاصة في الفترة التي التحق بها باتحاد الأدباء والكتاب

الأردنيين، لم تكن تعني أننا لم نلتق على الإطلاق، لقد كنت أطالع مؤلفاته، ودواوينه الشعرية – للكبار وللصغار - ، وكنت أصغي لبرامجه الإذاعية، وأطالع كتاباته في جريدة الدستور الأردنية، وكلما قرأت له، أحسست أنني أقرأ لأديب ومرب تنويري، مؤمن يعمل من أجل البشرية عامة.

كان قيادياً، ورجل عمل عام،ووفياً وصادقاً، على غير عادة بعض الكتاب، الذين يرون أن الكاتب لا يُصبح كذلك، إلا إذا تعلـّق بذاته، وتناسى أمته ومجتمعه وأهله، ومن هنا خسرت الساحة الأدبية المحلية والعربية والإسلامية بفقده، مبدعا يـُشار له بالبنان.

وصدق القائل: "من خلـّف ما مات"، إذ بالإضافة لأبنائه الكرام- والذين تشرّفت بالتعرف إلى مبدع مهم منهم، من خلال عضويته في رابطة الكتاب الأردنيين، إنه د.بلال كمال رشيد - فإن أعمال د.كمال ما زالت تعيش في مكتبتنا الأدبية خالدة، وتزيده خلوداً، والأهم من ذلك، أن الصغار الذين حفظوا شعره، كبروا، ونشأوا على النهج الذي رسمه لهم، فقصائده ليست شكلاً جمالياً وفنياً فحسب، بل قصائد وطنية، ومؤدلجة، بالأيديولوجيا الإسلامية، وفيها من التوجيه والإرشاد، ما يضمن لجيل المستقبل، فيما إذا أخذ بما فيها من سموّ المعاني والأفكار، أن يعيش الحياة الكريمة السليمة، وأن يضمن لمجتمعنا علاقات تضمن له النهوض، ولأمتنا العزة والمنعة، رحم الله د.كمال وأسكنه فسيح جنانه.

في وداع د. كمال رشيد[1]

★حسن على المبيضين

يقول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ صدق الله العظيم.

فجع قطاع التربية والتعليم برحيل أحد أعلامه البارزين الذين نذروا حياتهم لتربية النشء وإعدادهم إعداداً سليماً يدفع عنهم الأذى. ويحقق لهم الكرامة، ويمنح أوطانهم العزة والرفعة وينير الطريق أمامهم، في الوقت الذي تقلصت وجمدت سواعد الكثير عن العمل والبذل والعطاء.

إن رحيل الأستاذ الدكتور كمال رشيد صعب على محبيه، وهم كثر، جمعهم إليه بابتسامته الدافئة؛ وكلماته الرقيقة؛ وحسه النبيل، ودماثته المعهودة، فقرّب إليه الصغير والكبير وأمدهم بالمودة ولطف المعشر، فتجلس إليه بروح هادئة مطمئنة تنبيك أن فضاء المحبة لديه رحب يتسع للجميع.

لقد كان رحمه الله شاعراً بليغاً متدفق المعاني، يصل إلى مبتغاه باللفظ السهل اليسير، ويطرح فكره ونصحه ورأيه بأسلوب أدبي رفيع، ممتلكاً لأدوات اللغة ومفاتيحها، ينشدها الرقي في اللفظ والمعنى فتأتيه طائعة راضية، وكأنها بين أنامله بحروفها وكلماتها وصورها ومعانيها تنتظر دفقة أمل تخالج قلبه، أو نوبة فكر خامرت عقله فيخلق منها موقفه من الوجود والحياة والناس، وكذا نثره الذي جعله في ميدان الصحافة باباً من أبواب النطق بالقول الحق والحكمة والموعظة الحسنة، التي تشمل جوانب عدة من حياتنا اليومية: السِّياسيَّة والاقتصادية والاجتماعية، فتراه ناقداً حراً ملتزماً بالموضوعية والشفافية في النقد والتحليل

---

(١) جريدة الدستور ١٣ نيسان ٢٠٠٨م.

والتصوير والتوجيه، ومتنقلاً في كتاباته بين الهم الوطني والقومي والإنساني؛ فالكتابة لديه واجب مقدم على غيره، إذا استدعى أمر جلل، أو حلّت كارثة، أو جاءت الدنيا إليه بخبر ما.

نعم، إن غياب ذلك النفر المؤمن الملتزم بعقيدته، المخلص بواجبه، يشكل خسارة للأمة والمجتمع، فهم قناديل قدوة يحتاج الجميع إلى شعاع فكرهم وخلقهم وثقافتهم، خاصة وإن منهم من يتبنى رعاية الأجيال والأبناء، فتنتقل معهم وبهم صورة المعلم الحاني على أبنائه، الملتزم بمبادئه، الواثق بمهمته، والحريص على أمن مجتمعه ووطنه: ثقافياً وفكرياً وخلقياً واجتماعياً، فمن يقوم منهم بذلك الأمر ووفق تلك الرؤية يستحق أن يكون من ورثة الأنبياء الذين يسعون إلى صلاح البلاد والعباد.

رحل الدكتور كمال رشيد وفي قلبه فسحة أمل ليرى فلسطين محررة من كل قيد، ويرى أهلها وقد جمعهم الخطب والأمل والوعد، ليكونوا عدة النصر في القادم من الأيام.

فالعزاء ليافا بابنها البار بها، والعزاء لكل أمته ومحبيه وزملائه وتلاميذه في المدارس العمرية التي أحبها، إذ كانوا يلهجون بالدعاء للباري جلّت قدرته طيلة شهور خلت أن يشفيه الله من جراحه التي أصيب بها جراء حادث مروري، وأدت إلى وفاته. وها هم الآن يدعون مرة أخرى أن يتغمده الله بواسع رحمته ورضوانه، وأن يسكنه في عليين مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، إنه سميع مجيب.

والحمد لله من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كتاب وأدباء أشادوا بتجربته الإبداعية(*)

الموت يغيّب الشاعر والتربوي كمال رشيد

عمر أبو الهيجاء/ الدستور

غيّب الموت أول أمس الشاعر والتربوي د. كمال رشيد، الذي أغنى المكتبة الأردنية بالكثير من الإصدارات الأدبية في حقل الشعر، وغيرها نذكر منها: شدو الغرباء، عيون في الظلام، القدس في العيون، وكتيبات في أدب الأطفال، وأناشيد للأطفال، وله كتب عن سلوكيات الأطفال، والترادف في القرآن الكريم، وقد تتلمذ على يديه العديد من الشعراء؛ وأصبحت قصائده على كل لسان، هذا إلى جانب إسهاماته في التأليف في قسم المناهج المدرسية؛ وله بصمات واضحة عليها مع عدد من زملائه، وكان كاتب مقال مميز في جريدة الدستور.

"الدستور" استذكرت الراحل كمال رشيد مع مجموعة من أصدقائه من الأدباء وسألتهم عن مكانة الشاعر كمال رشيد في نفوسهم وذكرياتهم معه.

راشد عيسى: رحل شادي الغرباء وترك لنا الغربة

الشاعر والناقد د. راشد عيسى استذكر الراحل كمال رشيد فقال: عليك رحمة الباري يا أبا بلال، لقد كنت قدوتي في الطفولة؛ وكبرت على أشعارك وعطائك الإبداعي، كنت أستاذ جيل ورائد كلمة، فعرفناك تربوياً ناجحاً رئيساً لقسم اللغة العربية في مناهج التربية والتعليم، ومؤلفاً في تأليف كتب اللغة العربية ومديراً للمدارس العمرية؛ وصاحب رؤيا إنسانية شفافة عبر زاويتك الصحفية في جريدة الدستور، وشاعراً مجلياً في ديوانك (شدو الغرباء) الذي كان ضمن أول خمس مجموعات شعرية تتلمذت عليها، فلئن غبت عن عيوننا فستبقى شخصيتك الأدبية والوطنية والتربوية والإنسانية حاضرة في ملامح حركتنا الثقافية ومشرقة في وجدان تلاميذك وأصدقائك، ويكفي أن طلبة الأردن الحبيب حفظوا أشعارك وأناشيدك في

(*) جريدة الدستور ٣١/ ٣/ ٢٠٠٨م.

الكتب المدرسية، وحسبك أنك أنجبت بلالاً ليكون رديفك ومكمل مسيرتك في عالم الأدب والكلمة المبدعة، سنفتقدك أيها الشاعر المشمس والتربوي الغيور والوطني النبيل، سنسأل عنك بلالاً ونسلم عليك فإلى جنان الخلد إن شاء الله.

نايف أبو عبيد: سلام عليك يا رفيق الحرف الطاهر

نايف أبو عبيد صديقه ورفيق دربه في عالم الإبداع والكتابة تذكر الشاعر والتربوي والأديب الراحل كمال رشيد فقال: أخي كمال رشيد، رحمك الله على قدر طيبتك، وكريم خلقك، وعظيم تواضعك، ويسر قولك عندما تدعوك القوافي الخضر، والمفردات الكريمة، والألطاف السانحة، كأني وإياك مع وهن القلب على ميعاد، وها أنت ترحل كالنسيم الرخيّ عن دنيانا، ولا أدري متى يحين موعد رحيلي إلى دنياك التي غادرتنا إليها كالطيف، فسلام الله عليك يا رفيق الحرف الطاهر النظيف.

عبد الله الخباص: يعد من الأدباء الأفذاذ

إذا عدّ الناس الأدباء الأفذاذ في الأردن وفي فلسطين فلا بد أن يستذكروا جمهرة من هؤلاء يقف شاهداً من بينهم د. كمال رشيد رحمه الله، اعتاد الناس أن يستذكروا خصائل المرثي عند وفاته ولعل من أبرز خصال كمال رشيد أنه كان عفيف الكلمة عفّ اللسان دافع عن قضايا الأمة بلسانه وقلمه ويكفيه أنه أهدى درة العالم الإسلامي أعني القدس ديوانه الشهير "القدس في العيون" أنا أعرف كمال رشيد شاعراً وكاتباً وأديباً وصديقاً وإنساناً؛ وأعرفه مؤلفاً في المناهج، وقد ألفنا بمعيته الكتب المدرسية؛ وكنا ثلاثة لا يكاد يفرّق بيننا مفرق، كمال رشيد ود. عودة أبو عودة ود. عبد الله الخباص، كنا نسمى عند الناس ثلة؛ وهذه المنية تفرّق بيننا.

وأضاف: عرفته رئيساً لتحرير جريدة الرباط ينبض بنبض الأمة في مقالاته وعرفته مديراً عاماً للمدارس العمرية التي كانت فيها قامته طويلة أعني الخير والتربية السليمة في حب الدين والرسول والوطن، وصدق رسول الله القائل: "أحبب ما شئت فإنك مفارقه" فيا من فارقتنا رحمك الله.

رثاء الشعراء

رثاء.. الأخ كمال رشيد
يرحمه الله

★ شعر الدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي

ويَحِيْ ! أَغِبْتَ وغَابَ الشِّعر والأدَبُ ... وَطلْعةُ البِشْــرِ والتحنـان تَحْتَجِــبُ

رَحَلْـتَ، وَيْحِـيَ، والآمـال مشرقــةٌ ... ولهفــةٌ لم تـزلْ تعلــو وتضَطــربُ

تَركتَ خَلْفـكَ من طِيبِ الوفـا عَبَقــاً ... يَغْنى به الذكْرُ أو يغنـى بـه الرغَــبُ

كـلُّ المنابــر مــن أشواقهــا التَفتَــتْ ... أين الأديبُ سَـمَتْ في ذكـره الرُّتَــبُ

أيْنَ المربّـي لأجيـال الهُــدى ائتلقَــتْ ... لم يَثنِــهِ كَلَــلٌ في البــذلِ أو نَصَــبُ

أيْــنَ البيـان يصــوغُ الديــنُ حُجَّتَــهُ ... يَزْهو به الفكرُ أو تزهـو بـه الكُتُــبُ

أخي كمالٌ ! شَقَقْتَ الــدّربَ داعِيــةً ... لله يُـشْــرقُ منــه العَــزْمُ والأربُ

ويحي ! رَحَلْتَ ومازالــتْ تهـيجُ بنــا ... ذكرى نوَفّي لهـا الحـقّ الـذي يجِــبُ

* * *

يا يـومَ إســلامَ آبـادٍ وقـد جُمِعَــتْ ... مـا بـين أَجْوائِهــا فِتْيانُهــا النُّجُــبُ

وطَلْعَــةٌ مـن شُـيوخ الفِكْــر زاهيــةٌ ... ونــدوةٌ عندهــا الآمــالُ تنجــذبُ

يـدور بينهمُ حلـو الحديـثِ رؤىً	علـى حـوارٍ إلى الـرحمن يُحْتَسَـبُ
فكـرٌ نـديٌّ وآمـالٌ مُـرَفْـرِفَـةٌ	عـزمٌ فَـتِيٌّ وشـوقٌ فيـه يضطـربُ
وكنـتَ فيهـا نـديَّ الفكـرِ منطلقـاً	عطـاؤك الثـرُّ بالإيمـان مُجْتَلَـبُ
هنـاك طـاب لقـاء المؤمنـين علـى	بَـذلٍ يُجَـدَّدُ فيـه العَـزْمُ والطلـبُ

* * *

أبا بـلالٍ ! وكَـمْ مـن نـدوةٍ بَقِيَـتْ	بين الضلوعِ ولا تنأى بهـا حُجُـبُ
تَظَـلُّ تُحْيـي بنـا الـذكرى ولهفتَهـا	كأنّمـا هـي حَبْـل شُـدَّ أو نَسَـبُ
وَكُلَّمـا هَبّـتِ الـذكرى نَثـرْتُ لهـا	ودّاً أبَـرَّ وفـاءً مـا بـه رِيَـبُ
كَمْ ضمّنـا في ربـى عمّـانَ مُحْتَفَـلٌ	وفي الريـاضِ وفي سـاحاتها رحَـبُ
وكَمْ نَفَثْـتَ همومـاً كنـتَ تَحْمِلُهـا	عن أُمّـة غَلَبَـتْ في ساحها الكُـرَبُ
وكَمْ نَصَحْتَ ! وكم نَاشَدْتَ !وا عَجَباً	يظلُّ يَطْلـعُ مـن أحوالنـا العَجَـبُ
أخي كمالٌ ! شَقَقْتَ الـدّرْبَ داعِيـة	لله يخلـص مـا تُعطـي ومـا تَهَـبُ

* * *

والمسلمـون غفـاةٌ في تفـرُّقِهِـمْ	يُودي بهم أبداً من خُلْفِهِـمْ حَـرَبُ

لهفـي علـى أُمّــة كانــت منائِرهــا   إلى ذرا المجــد والعليــاء تَنتَسِــبُ

هـوى بهــا قــدرٌ حــقٌّ وأورثهُــمْ   ذلَّ الهـوانِ بمـا أَمضَـوا ومـا كَسَبــوا

❋ ❋ ❋

لهفي عليك ! رَحَلْـتَ اليـومَ وَأسفــاً   والمسلمون علـى ساحاتهــم نُــوَبُ

لَهْفي على رجلٍ يَمْضـي القضـاء بــه   لغايـةِ العمـرِ مــا يرْجــو ويَرْتَقــبُ

يـرجـــو مـــن الله نُعْمــاه وعاقِبــةً   ورحمـةً منـه تزكـو عندهــا القُــرَبُ

نـدعـــو لــه دعـــوةً لله خـالصـــةً   وكلُّهــا بالرَّجــاء الحــقِّ تُنتَــدَبُ

ونَسْـــألُ الله يُـوفِيـــه برَحْمتِـــه   عفـــواً ومغفـــرةً تُرْجـــى وتُطَّلَــبُ

ويجعــل القَبْـــرَ في أَفْيـــاءِ رَحْمتِـــه   روضـاً نديّـاً وعطـرٌ فيــه ينسكــبُ

❋ ❋ ❋

لهفي ! رحلتَ ! ويا للموت من عَجَبٍ   والمَـــوتُ حــقٌّ وفي آياتِـــه عجـــبُ

آيٌ مِـن الله قَـدْ جَــلَّ القضــاء بِهــا   وحِكْمـةٌ لَجَــلالِ الغَيْــبِ تَنْتَسِــبُ

❋ ❋ ❋

الأحد ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ
١٨ أيار ٢٠٠٨م

فارس

الشاعر كمال رشيد رحمه الله تعالى

⋆ شعر المهندس صالح الجيتاوي

خفق القلب بالأسى ... للذي بات مُرْمِسا

بين إطراقةِ الشهودِ ... وتَنهيدَةِ المسا

غاب في لجَّةِ الزمانِ ... وما عاد مؤنِسا

الرَّضِيُّ الذي جَلا ... حَبَّةَ القلب مَجلِسا

لم يكن قَبْلُ قاسياً ... ما به اليوم قد قسا

كان في كل ما يَسُرُّ ... كريماً مُؤَسِّسا

فتولّى على النَّدِيِّ ... حديثاً وَأنْفُسا

وعلى حين غَرَّةٍ ... طار عنا فما عسى؟!

أيعود الفتى وقد ... ضَمَّهُ القبر مَحبِسا

❋ ❋ ❋

كان حِصناً من الحصونْ ... كان ليثاً على العرينْ

كـــان عـــيناً علـــى الثغـــورِ شِـراعـــاً عـــلى السَّـــفينْ

قـــام في حضـــرة الرســـولْ بـشـــذى الحـــب والحـــنينْ

عـاشِقـــاً يطلـــب انتســـاباً ويَـسْـتَــــرْوِحُ الـــــسنينْ

يـطـــلب الوصـــلَ والجَـــدا أتـــرى يَـفـــرحُ الحـــزينْ

يـقِـــرىً مـــن شـــفاعةٍ مـــن رضـــى الصـــادق الأمـــينْ

نـظـــرةً أو تـحـيـــةً أو وسـامـــاً علـــى الجـــبينْ

كَـفُّـــهُ الـطُّـــهْرُ والنَّـــدى كـأسُـــها تُطْلـــقُ الســـجينْ

كـــل مـــا دونـــها ســـرابٌ ومـــا قـبـلـهـــا يهـــونْ

* * *

قـــام فـــي حضـــرة الشـــهيدْ يـتـجَـــلَّى علـــى القصـــيدْ

نـفـحـــاتٍ أَشَـــدَّ مـــن طـعـــنةِ الفـــارس الشـــديدْ

مـــن شَـــذى القـــدس تَسـتقي عَـبَـــقَ الـــمجدِ والخلـــودْ

تـتـــسامى علـــى الجـــراحِ وتـسـتـنـــزل المزيـــدْ

فـــي حـمـــى غـــزة الـــتي أعـيـــت البحـــر والحشـــودْ

وجنيـــــن الـــــتي ارتــــوت   مــــن دم الـــــمجرم الحقـــودْ

فـتـيـــــــةُ "العــــزِّ" كالأســـــودْ   تَـــــمْهرُ الأرض بـــــالوجودْ

فتُـــــروِّي الثـــرى الطهـــورَ   مـضـــــاءً عـــــلى العهـــودْ

بُـشْـرَيـــــاتٌ تـــــلوحُ مـــــن   سِـــــدرةِ الـحـــــق لا تحيـــدْ

* * *

وعـــــلى الـــروض والحقـــولْ   قـــــام يـــــستنهضُ العقـــولْ

ويُـــرَبـــــــي كـأنــــــه   عــــاش في صـــحبةِ الرســـولْ

مُـلـهِـمــــــاً لا مُـفَـــــنِّداً   هـاديـــــاً مُزْهِــــرَ الفصــــولْ

يـفـــــتح الـــبرعم الـــبريءَ   بـكــــفٍّ مـــــن الـــــنخيلْ

لا غـلـيـظـــــاً مُـــــثَبِّطاً   لا مَـلــــــولاً ولا عَــــــجولْ

طيـبـــــةٌ تـــورثُ الفتــــى   غـبـــــطة الحـــب والقبـــولْ

وإذا قـــــام فــــي الــــشبابِ   عـلـــــى الـــــغيْمةِ الهَطـــولْ

لامَـــــسَ الـــــروحَ بالفِـــدى   أشـعـــــل التَّـــوْقَ للصـــليل

هِـمَّـــــةُ الـــــمؤمن القـــويِّ   عـلـــــى الفـــارس الأصـــيلْ

* * *

يـــا (كـــمالُ) الـــذي مضـــى　　بـعـــــد أن عـــانقَ الرضـــــى

يـــــا رشيــــــداً مـوفَّـقـــــاً　　قـــد قَـــضى الله مـــا قضـــى

لـــك فـــي الـــقلب لوعـــةٌ　　لـــك في الشِّـــعر مُقتـــَضى

لـــك مـــن كـــل وامـــقٍ　　دعــــوةٌ تـمـــلأ الــــفضا

* * *

يا نجمَ الدُّجَى

في رثاء الدّكتور كمال رشيد

★ شعر: د. أيمن العتوم

دَرَجَتْ إليك قَواصِمُ الأهوالِ وعَدَتْ عليكَ نَوائبُ الآجالِ

وَتَرَكْتَ جُرحًا عَنْ رَحِيلِكَ نازفاً مِنْ بَعْدِ جُرْحٍ ثاغِبٍ سيّالِ

وَمَضَيْتَ في طُهْرِ الغَمَامِ يَحُفُّهُ جَمْعُ الَملائِكِ حُفَّلاً والآلِ

نَادَيْتُ بِاسْمِكَ والسِّهامُ تَنُوشُنِي وَصَرَخْتُ مِنْ فَقْدِ الحَبِيْبِ الغَالِي

وَهَتَفْتُ يَا نَجْمَ الدُّجَى وَضِيَاءَهُ إِنّي أَرَاكَ عَجِلْتَ بِالتِّرْحالِ

وَحَطَطْتُ مِرْساتِي بِبَحْرِكَ مُتْعَبًا وَضَمَمْتُ طَيْفَكَ في بَدِيعِ خَيالي

فَأنا أَمَامَكَ كَالصَّغيرِ هَوَى دُجًى في نَاظِرَيْهِ صَانِعُ الأجيالِ

إِنَّ الشّموسَ إذا تَهاوَتْ مِنْ عَلٍ رَدَّتْ ضِياءَ الصُّبْحِ سُودَ لَيالِ

وَإِذا الدُّروبُ مِنَ الَمعالِمِ قَدْ خَلَتْ ضَلَّ الدَّلِيْلُ بِهِنَّ أيَّ ضَلالِ

فَلِمَنْ إِذَنْ – لِلْحالِكاتِ – تَرَكْتَنا والنّائباتِ السُّودِ والأَهْوالِ !!

إِنّي مَشَيْتُ إلى هَوَاكَ أَحُثُّهَا إِبِلِي وَأُقْرِي بِالحُدَاءِ جِمَالِي

وَنَظَــرْتُ لِلــنَّجْمِ البَعيــدِ إِخَالُــهُ   قَــدْ غَــابَ، وَالــدّنيا الغَــرُورُ حِيــالي

وَسَأَلْتُ أَقْمارَ الصَّحارَى مَنْ رأى   قَمَرِي الفَقِيْدَ ؟! فَمَا أجبْنَ سُؤالي

وَصَلَ الشَّجِيُّونَ الّذين تَرَكْتَهُمْ   وَأَنا الّذي خُلِّفْتُ دُونَ وِصَالِ

فكأنّني فِي البِيْدِ وَحْدي تائِهاً   قَدْ قُطِّعَتْ فِي تِيْهِهِنّ حِبَالِي

وَكَأنّني الهَيْمانُ مِنْ عَطَشٍ ولا   وِرْدٌ، ولا أَمَلٌ مِنَ الآمَالِ

* * *

يَا طَاهِرًا صَنَعَ الحَيَاةَ بِكَفِّهِ   مَجْدًا يَسُودُ المَجْدَ دُوْنَ كَلالِ

الفَضْلُ أَنْ تَصِلَ الفَضَائِلَ أَهْلَها   وَتَجُودَ – لا مَنًّا – بِكُلّ نَوالِ

سَبْعٌ وَسِتّونَ السُّنون مَشاعلاً   ضَاءَتْ بِلَيْلِ حَالِكٍ مِمْحَالِ

قَامَتْ بِها عَزَماتُ بَأْسِكَ دُونَها   حَزْنُ الرّواسي الشّمِّ والأَجْبَالِ

رَفّتْ عَلَيْكَ مِنَ الفُؤادِ شِغافُهُ   وحَنَتْ عليكَ غَلائِلُ الإِجْلالِ

وَقَفَتْ عَلَى الجَسَدِ المُسَجَّى أنفسٌ   قَطَرَتْ تَذُوبُ بِمَدْمَعٍ هَطّالِ

إِنَّ الكِبارَ إِذَا قَضَوا نَهَضَتْ بِهِمْ   آثارُهم، فَسَمَوْا بِعُمْرٍ تَالِ

فَاعْلَمْ بِأَنّكَ إِنْ رَكَنْتَ إلى الدُّنا   فَلَقَدْ رَكَنْتَ لِخادِعٍ خَتّالِ

قُمْ وَامْضِ نَحْوَ الغَايَةِ العُظمَى فَمَا سَــهْمُ المَنِيّــةِ يَــا خَلِــيُّ بِسَــالِ

وَاغْـنَمْ دَقَائِقَـكَ القِصـار، فإنَّهـا في عَـالَمِ العُظَمَـاءِ غَيْـرُ طِـوالِ

* * *

يـا سـابقًا، والفَضْـل يُـذكَرُ فَضْـلُه أَبَـدًا لِكُـلّ مُبَـادِرٍ مِفْضَـالِ

عَرَفَتْكَ سـاحاتُ القَصِـيدَةِ صَـادِحًا بـالحَقِّ لا تخشـى أذى الجُهَّـالِ

وَلَقَـدْ شَـدَدْتَ مِـنَ القَصِـيْدِ أعِنَّـةً وَحَمَلْـتَ كُـلَّ أسـنّةٍ وَعَـوالِ

وَمَضَـيْتَ لا نِكْسًـا ولا جَزِعَـاً ولا هَلِعًـا، ولا كَـلاًّ بِكُـلّ مَجـالِ

واللّيـثُ تَعْـرِفُ بَأْسَـهُ أقرانُـهُ وَالغـابُ تَخْشَـى صَـوْلَةَ الرّئبـالِ

يَـا شَـاعِرًا عَـزّتْ عَلَيْـهِ أُمّـةٌ رَسَـفَتْ بِـذلِّ القَيْـدِ وَالأَغْـلالِ

تَرَكَـتْ سَـبِيلَ نَبِيِّهـا وَتَنَكّبَـتْ دربَ الهُـدَى، وَغَـدَتْ مِـنَ الأَذْيـالِ

رَكَنَـتْ لِصَـحْراءِ الضَّـياعِ تَظُنّهـا خَضْـراءَ وَهْـيَ جَلِيَّـةُ الإِمْحـالِ

وَتَلَمَّسَـتْ لَمْـعَ السَّـرابِ لِرِيِّهـا هَـلْ يَرْتَـوِي الظّـامي مِـنَ الأَوْشـالِ؟

أنـتَ الأَمـينُ علـى مَـدارِجِ حُلْمِهـا بِصَـوادِقِ الأَفْعَـالِ وَالأَقْـوَالِ

غنّيـتَ أَعْصُـرَها المَجِيـدَةَ شَـادِيًا وَمُبشِّـرًا بِحقـائقِ الآمـالِ

هِـيَ أُمَّـتِي وَغَـدًا تَعُـودُ لِمَجْـدِها وَمَقامُهـا الشَّـرَفُ الرّفيـعُ العَـالِي

هِـيَ أُمَّـتِي حتّـى وإنْ عَثَـرَتْ فمـا مِـــنْ عَـــاثِرٍ إلاّ لَـــهُ مِـــنْ قَـــالِ

هِـيَ كَـالخُيُولِ إذا اعْتَلاهـا فَـارِسٌ خَاضَـــتْ غِمــارَ المَجْـدِ بِالأَبْطــالِ

لَكِنّهـا وَرَدَتْ عَلَـى جَـدْبٍ ومـا مِـــنْ قائـــدٍ يَحْـــدو ولا خَيّـــالِ

يَـا بْـنَ الكِـرامِ ويـا أَبـاهُمْ والِـدًا الصّـــادِقِينَ بَـــدَأْتَهُمْ (بِـــلالِ)

وأســامةٌ ومُحمّـــدٌ وفِـــراسُ طَـــا رِقُ أَحْمَـدٌ، هُـمْ خِـيرةُ الأَشْـبالِ

* * *

يَـا شَـاعِرًا سَـيظَلُّ لَحْـنُ قَصِـيدِهِ نُـــورًا يُضِـــيْءُ الـــدّربَ لِلأَجْيـــالِ

وَلَـــئِنْ رَقَـــدْتَ مُغَيَّبًـــا فَلَطالمـــا شَـهِدَتْ لَـكَ السَّـاحاتُ بِالأَفْعـالِ

عَانَيْـتَ مِـنْ أَلَـمٍ أَمَضَّـكَ أَشْـهُرًا وَصَـــبَرْتَ صَـــبْرَ المُـــؤْمِنِ المُتَعـــالي

حتّـــى تُلاقِـــي اللهَ أَنْقَـــى طِيَّـــةً وَتَـــؤُوبَ بِالحَسَـــناتِ والأَفْضـــالِ

فَجَـزاكَ رَبُّـكَ خَيْـرَ مـا تُجـزَى بِـهِ عَـنْ صَـيِّبٍ مِـنْ طَـاهِرِ الأَعْمَـالِ

إنّ الجِنــانَ إلى الكِــرامِ تَزَيَّنَــتْ وتهيَّـــأَتْ وَتَفيَّـــأَتْ بِظِـــلالِ

لَمَّـــا تَعَجّبَـــتِ المَلائــكُ زِينَهـــا قَالَـــت: فَـــإنّي لِلرَّشِـــيْدِ (كَمـــالِ)

عمّان ١١/٦/٢٠٠٨م

كنبض القلب والوتر

شعر: د.حسن قرعاوي

قل للقصيدة عـن تقصـيريَ اعتـذري   إنْ قصَّـر الشـعرُ في التعـبيرِ والصـورِ

الشِّـعرُ في القلـب والوجـدانِ منبتُـه   بــين الأحبــةِ بــاقٍ طيّــب الأثــرِ

يـا شـعر بلّـغ مـع الإصـباحِ قـافيتي   في أن تجــودَ صــعوداً دونَ مُنحــدَرِ

في أن تجــودَ لنــورِ العــيْنِ والهفــي   أبــو بــلالٍ مضــى في ذكــره العَطــرِ

هــذي شــهادةُ مُــزنٍ مــرَّ منعطفــاً   نحــو القبــورِ بغيــثٍ صَــيِّبِ المطــرِ

فَـأَلٌ بـه الـنفسُ والخِـلاّنُ قـد عرفـوا   أنَّ الفقيــد كنــبض القلــبِ والــوترِ

فيــه الحيــاةُ بمــا أبــداه مــن خُلُــقٍ   فيــه النقــاءُ كضــوءِ العــينِ للبصــرِ

فيـه السـماحُ علـى مـا فيـه مـن أدبٍ   جَلَّــى الحقــائقَ بــالتنويرِ والعِبَــرِ

يــا لَلإطــارِ بمــا قــدْ ضَــمَّ داخلَــهُ   من روعةِ الشعرِ والتجديـدِ في الأُطـرِ

قُـلْ إنـه الشَّـكل فيمـا حـازَ جـوهَرُهُ   أحلى المضامينِ كضـوء الشـمسِ والقمـر

أبــو بــلال دعــوني اليــوم أذكُــرُه   في صفحةِ الفكـرِ يعطـي كـلَّ مُنتظِـرِ

إنْ قـال شِـعراً فقـولُ الشِّـعرِ منـتظمٌ   أو جــادَ نثــراً كعقــدِ الــدّر منتثــرِ

أبـا بـلال فـلا تأسـى علـى عَـرَض   دنيـا تغـوص بوحـلٍ غـصٌّ بالبشـرِ

فَلْنَحذَر اليومَ مـن صـولات سـطوتها	إنْ كـان يُنبِـئ مـا نلقـاه مـن كَـدَرِ

فيمـا يقـالُ بـأنَّ اليـومَ مطلعُـهُ	أحلـى وأجمـل مـن أيامنـا الأخَـرِ

الظـاهراتِ بـلا لـونٍ ورائحـةٍ	أو دون طعـمٍ فيـا أيامَنـا انتظـري

شـقَّ المسـير علـى مـن سـار مركبـه	والبحـر لجٌّ وركـبُ القـومِ في خطـرِ

يـا مَـنْ تسـافرُ والأمـواجُ لاهِثَـةٌ	تبغـي الوصـولَ لشـطٍ آمِـنِ السَّـفَرِ

أبـو بـلال لَـنعمَ الخِـلُّ أذكُـرُهُ	مـا زال في العـين كالأحـداق للبَصَـرِ

صـوتٌ يَـرِنُّ بـأذني لا يفارقهـا	طيفُ الحبيبِ مـع الإحسـاسِ بـالكِبَر

أبـا بـلالٍ لكـم في الـدِّينِ مَـأْثَرَةٌ	كالسَّـيْلِ خـيراً مِـنَ الأعمـالِ مـدَّخَرِ

عِلْـمٌ أنـارَ لجيـلٍ دربَ مَنْـزِلَةٍ	لا لا يُقَـيَّمُ بـالأموالِ والـدُّررِ

أمّـا الصـحافةُ في ذكـرِ المقـالِ بهـا	قد كنتَ تبحثُ عن حالٍ وعـنْ خَبَـرِ

تسـتنطقُ الخُـرْسَ في فِعْـل يشـرِّفنا	فيمـا يَـؤُولُ لعـزٍّ رائـعِ الأثـرِ

بـلْ تكشـفُ الزَّيْـفَ للمحتـلِّ ترْقُبـهُ	لـمَّا يـدمّر أحيـاءً مـن الحجـرِ

أو يَجْـرِفُ الأرضَ والأطيـار ترمقُـهُ	غيظـاً لظلـمٍ ومـا تُخفيـهِ مـن ضَـرَرِ

أمـا الرصـاصُ فسَـهْمٌ طـائِشٌ أبـداً	للآمِـنينَ كعصـفِ الـريحِ مُنهَمِـرِ

فالغـدرُ والعسـفُ والتنكيـلُ ديدَنُـه	هل يستوي السِّلمُ والأوطانُ في خَطَرِ؟

نَسْـــتَنْجِدُ اللهَ مـــن شَـــرٍّ يلاحِقُنـــا فيمـــا تؤكّـــدُ آيـــاتٌ مِـــنَ الزُّمَـــرِ

أبـــا بـــلالٍ ألا فـــانظُرْ لخيمتنـــا فيها الصِّحابُ وأهلُ الفضْلِ والسِّيَرِ

والكـلُّ يسـأل أيـن الخِـلُّ والهَفَـاً أيـنَ الدَّماثـةُ في حِـلٍّ وفي سَـفَرِ

طِـبُّ النفـوسِ بمـا يُبْـدي تَطَـوُّره لـن يغـنيَ المرءَ والإنسانَ مـن حَـذَرِ

هذي هي الأعمارُ والآجالُ قد كُتِبَتْ في صفحةِ الغَيْبِ والأعمالِ والقَدَرِ

لا تأسَـفَنَّ علـى الـدنيا وزُخرُفِهَـا زهـرٌ بـه الشَّـوكُ يُـدْمِي كـلَّ مُخْتَبِـرِ

فـانعَمْ كمـالُ بـدارِ الخلـدِ في ظُلَـلِ هذا الـدعاء لجُـلِّ الصَّـحْب والأُسَـرِ

٢٠٠٨/٣/٣٠

٢) العقد الفريد
في رثاء الأخ الدكتور كمال رشيد
رحمه الله

شعر: د. حسن قرعاوي

قد يَمَّمَ الرّكبُ المواكبُ (موبصا)[١] فَكمالُ مِنْ دنيا المتاعبِ خُلِّصَا

قَدَر الإلـه منـارةٌ وضَّـاءة جـذبتْ إليها التِّبرَ جوهرَ خالصا

والغـيمُ ظلله سـحائبَ رحمـةٍ هـذي مِنَ الباري تُعَدُّ خصائصا

أأبا بـلالٍ حـول قـبركَ سُـنْبلٌ فـانظر إليه مع العشـيّةِ راقصا

غادرْتَنـا مـن دون أيِّ شـوائبٍ لله في ثـوب النقـاء ممحَّصـا[٢]

وضـعوكَ في لحـدٍ بـأرضٍ خصـوبةٍ والطوبُ حولكَ في الظّهيرةِ رُصِّصَا

وعيـونُ أهلـكَ والصـحابِ جميعهم كانت تُحَـوِّمُ فـوقَ قـبركَ شُخَّصَا

كَـمْ كـانَ مـوتُ الأوفيـاء فُجـاءةً في نفـسِ كـلِّ الأقـربينَ مُنَغِّصَـا

بحياتنـا يومـانِ: يـومُ مَسَـرَّةٍ أو يـومُ سـوءٍ صـائداً أو قانِصَـا

مـا زاد ربّـي في مَـدى أعمارِنـا إلا وكـان الُلـهُ يومـاً مُنقِصَـا

كالطـائرِ الُمصـطادِ قُـصَّ جناحُـهُ أنـىّ يُغـرِّدُ في الريـاضِ مُقَصقَصَـا

---

(١) موبص: ضاحية من ضواحي عمّان الشمالية الغربية وفيها قبر الدكتور كمال رشيد رحمه الله.

(٢) ممحَّصاً: خالياً من الشوائب، ومجلوّاً ومختبراً.

أوَ كلّمــــا زادتْ مواليــــدُ الـــوَرى   قــلَّ الكبــار تَراجُعــاً وتناقُصَــا

مـا اسْـطاعَ منهـا المـرءُ دَفْـعَ بليَّـةٍ   يومــاً ولا اسْـطاعَ الأنــامُ تخلُّصَــا

هـــذي لعمـــركَ سُـــنَّةٌ أبديَّـــةٌ   فتــأمُّلاً، وتَمعّنــاً وتفَحُّصــا

سـيّان كـلٌ في المصـير مـع الـردى   حُــرٌّ طليــقٌ أو حَبــيسٌ قَرفَصَــا

لكـــنَّ عاقبـــةَ الـــذينَ تمسَّـــكوا   بالــدينِ غــيرُ الكــاذبين تَخرُّصــا

كَـوْنٌ سـيَعمرُ مـا تشـاء لـه السَّـما   فاعملْ لنفسـك أنْ تكـونَ الُمخلِصا

كــأبي بــلالٍ في سماحــة خُلْقِــه   مـا شـذَّ عـن أمـرِ الإلـه ومـا عَصـى

في سـيرةٍ عكسـتْ جلائـل فضـلهِ   إنْ شـئتَ تفصـيلاً لهـا ومُلخَّصـا

فـاسمعْ حـديثاً راقَ كُـلَّ معاشِـرٍ   يأتيـك مَحْضـاً بـل نقيـاً خالِصـا

فعليــكَ رحمــةُ ربِّنــا يــا صــاحبي   غيثـاً يَصـبُّ علـى ثـراكَ مخصَّصَـا

وطنيَّةٌ غنّى الزمان بذكرها[1]

★ شعر سليمان المّشيني

في رثاء الشاعر الكبير الأستاذ الدكتور الأجّل كمال رشيد تغمدّه الله برحمته ورضوانه.

أدْمـى فـؤادَ الشِـعْرِ مـوتُ فقيـدِهِ ... والـروضُ أَسْـوانٌ علـى غِرّيـدِه

وَشَجا القريضَ غيابُ فارسهِ الذي ... قـدْ زانَ بالعِقيـانِ رائـعَ جيـدِهِ

فكمـالُ ابـنُ رشـيد شـاعِرُنا الـذي ... غنَـى إلى الأقصـى بـديَع نشـيدِهِ

رمـزُ الوفـاءِ بقولِـهِ وبفعلِـهِ ... والسـيرِ في درب الهـدى ورشـيدِهِ

مَـنْ مثْلُـهُ في بَذلِـهِ وعطائـهِ ... مَـنْ صِـنْوُه أوْفـى بحفـظ عهـودِه

صـفحاتُه بـيضٌ كإشـراقِ النـدى ... والصـدقُ والإيثـار بعـضُ رصـيده

كان الأريبَ الُمبدعَ السامي الـذُّرى ... في نثـرهِ وبيانـهِ وقصـيدِهِ

ومُناضِـلاً حـراً أبيّـاً مؤمنـاً ... فهَـوى الحمـى يسِـري بحبْـل وريـدِه

وطنيَّـةٌ غنَّـى الزمـان بـذِكْرِها ... وأشـادَ في إقدامِـه وصـمودِه

خمسـون عامـاً عـاملاً ومكرِّسـاً ... للعلـمِ والعرفـانِ كُـلَّ جُهـودِه

فغـدا المميـزَ في الوفـاءِ بعهـدهِ ... أهـلاً لإكليـلِ الثَّنَـا وورودِهِ

---

(١) القصيدة التي ألقاها الشاعر سليمان المشيني في احتفالية الوفاء التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية- مكتب الأردن في المدارس العمرية في ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٨م.

كـانَ الحكـيمَ المسـتنيرَ أخـا النُّهـى   فغـدا الرجـوعُ لرأيـهِ وسـديدِه

أفقيـدَنا المحبـوبَ كَـمْ مِـنْ صَـفْحَةٍ   لـكَ في سِـجلِّ البـذلِ طـيَّ قيـودِه

أدَّيـتَ في التعلـيمِ أكمـلَ واجـبٍ   فعُرِفْـتَ في ميدانـهِ كعميـدِهِ

ورفيقـه القـرآن يتلـو آيَـه   في غايـةِ الإبـداعِ في تجويـدِه

لم يحَـنِ يومـاً رأسـه إلاَّ إلى   بـاري الـورى بصـلاته وسـجوده

في مُهْجَـةِ الشُـعرا بليـغٌ ملـهم   أغنـى القـريض بـدرِّه ونَضـيده

قـد عـاش للأقصـى المبـاركِ عاشـقاً   يستصـرخُ الأحـرارَ كَسْـرَ قيـودِه

وحنينُـه للقـدسِ حُلْـمٌ دائِـمٌ   يحيـا بـه بِنهـاره ورُقـودِه

والوحـدةُ الغـرّاءُ مِـلءُ جنَانِـه   كَـمْ زادَ هـذا الحلـمُ مِـن تَسْـهيدِه

إنّـا بَوحْـدَتِنا نُـدَمِّرُ غاصـباً   يسعى لضَمِّ القـدسِ ضِمنَ حـدودِه

ما القدسُ ما عَمّانُ مـا الفيحـا سـوى   وطَـنٍ كـبيرٍ واحـدٍ بأسـوده

سـنظَلُّ رغـمَ الغـازي شـعباً واحـداً   ونُزيـلُ حـاجزَه وعُمْـقَ سُـدودِه

لسـنا بغـيرِ الثـورةِ الكـبرى نـرى   عَلَـم العروبـة ممعنـاً بصـعودِه

يَـا إخـوتي آلَ الرشـيدِ عَـرَفْتُكم   مِـن نُخْبَـةِ الـوطنِ العزيـزِ وصِيده

إسـهامكم في نهضـة الأُرْدُنِّ مَـنْ   يَقْـوى علـى إنكـارِه وجُحـودِه؟!

صبراً على الخطبِ الجَسيمِ فما امـرؤٌ ينجـو... إذا حُـمَّ القضـا... بشـروده

وإلى جنِـانِ الخُلــدِ فارسَــنا الــذي أرضـــى الإلَـــه بنهجِــه وحَميـــدِه

وعزاؤنــــا أبنـــاؤكَ الغُـــــرُّ الأُلى هُـــمْ في ســـجل الحـــقِّ خـــيرُ جنـــودِهِ

مَــنْ كــانَ للحــقِّ الصُّــراحِ كِفاحُــه أضـحى بقـاءُ الـذكرِ بعـضَ حصـيدِه

سليمان المشيني

سلام عليك

⋆ شعر الأستاذ مصطفى أبو الرز

سلام عليك "كمالُ" وأنت تقرّ مع الخالدين

سلام على الجرح ينزف مسكا

وعطرا

يفوح منه شذى الياسمين

***

وحين يروح السحاب يسابق شوق الثرى

فيهمل البرد

يقبل ذاك الجسد

ويبيض وجه المكان تماماً كوجهك في كل حين

***

سلام عليك اذا أبحر الشعر في شط يافا

وحين يفوح الرحيق من البرتقال

ندياً

سحاباً يمر على جبهة الكون

فينشر فيها ربيع الحياة

ويمطر غيث الحنين

ويمسح بؤس السنين

***

سلام إذا غردت في الحقول الطيور

لتنشد لحناً يلامس غرة حيفا

يقبل غزة

يلثم صبر الجليل

ورأس الخليل

تحمله الشوق للأرض والوعد أن الرجوع أكيد أكيد

وحين تلوتَ من الذكر آيات أجر الشهيد

وحين تسطر أنشودةً للوليد

فينمو نقياً

وفياً

عنيداً

أبيا

وحين وضعت على منبر الرأي تاجاً

من الصدق

والجهر بالحق

لم ترجُ وعداً

ولست تخاف الوعيد

وحين تقدم للجيل جيلاً من الحلم بالنصر

لايعرف اليأس

فالدرب للقدس مرمى حجر

ويوقن أن المسافة بين الهزيمة والنصر

نفس المسافة بين القنوط وبين اليقين

***

سلام عليك "كمالُ" إذا ما تلونا الوصية فيها تقول:

"بلالُ" هو الدرب

لادرب إلاهُ،لانهج إلا الصراط القويم

فأغمض على الحق جفنيك

دثرهُ بالرمش

أسكنهُ في بؤبؤ العين

لاتلقِ بالاً لمن قال هذا الكلام العقيم

نموت ونحيا نقاتل ثم نموت ونحيا ولسنا نفرط

جيلاً يواصل إصراره إثرَ جيل

***

سلام عليك "كمالُ" وأنت تبشر

بالحرف والسيف

بالموسم المنتظر

تشير الى ألف سهل من الخصب

بعد السنين العجاف

وفي كل سهل حقول من البشر تخضر راياتها المشرعة

سنابل واعدة بالرجوع إلى قرية الحب

والأهل والبرتقال

إلى حيث جدك ذاك الرشيد الرشيد[١]

مشرعةٌ بابه دائماً للضيوف

يطل على (مقيل)[٢] القرية الوادعة

يفتش عن عابرٍ للسبيل

وعن سائلٍ أو عليل

***

وحين يطل على (سبق الخيل)[٣]

تلق الخيول مضت مسرعة

---

(١) الحاج رشيد جد المرحوم وشيخ القرية.

(٢) الساحة الرئيسة في وسط القرية.

(٣) ميدان سباق الخيل الذي خصصه الحاج رشيد من أملاكه لهذا الغرض.

لتملأ أركانه الأربعة

هناك تطل علينا "كمالُ"

لتلقي قصيدة شعر وعدت بها طول هذي السنين

مخبأةً مذ ولدتَ ومنذ نبغتَ

ومنذ ذهبتَ مع الخالدين

***

فقر "كمالُ" عيوناً مع الأنبياء

مع الأولياء

مع الصالحين

وإني لأقسم أنا نرى النصر رؤيا يقين

وأنك سوف تكون هناك مع العائدين

وأنك سوف تخط نشيداً على صخرة القدس

يخلد عبر السنين

فقرَّ كمالُ عيوناً مع الشهداء... مع الأنبياء... مع الأولياء... مع الصالحين

مصطفى أبو الرز

كالمفتاح في الباب الحزين

★ راشد عيسى

إلى الشعراء: إبراهيم الخطيب ونايف أبو عبيد وكمال رشيد:

أيها الشاعر لا تحزن إذا ما الجسم خانكْ

فهو لا بد يخونْ

مثل كل الضعفاء العابرينْ

آه ما أعلاك طفلا يا صديقي

تنسج الأحلام من قطن المللْ

تمضغ العزلة في صمت السريرْ

وتكابرْ

يسكر الموت على صدرك عمدا

وتسافرْ

في أقانيم الخجلْ

وتنادي عينك اليمنى على الله

وتبكي عينك اليسرى على جسر القصيدة والأنينْ

أيها الشاعر لا تحزن وقفْ

مثلما كنت عموداً من ضياءْ

فلئن أنت على الأرض تسيرْ

إنما روحك شمسْ

ومعاً نبكي سماءْ

أنت لم تمرض ولكن صحة الشاعر داءْ

وعزاء الفقراء المشمسينْ

يا صديقي أيها المرشوق بالكلمات والحزن المدببْ

واغترابات النمورْ

لا تنم يا ابن طريقي هكذا كالسهو كالنسيان...كالمفتاحْ

في الباب الحزينْ

درج العمر قصيرْ

سُلُّم الحلم قصيرْ

وطويل دمعنا الحردان في عين اليقينْ

لا تنم في النوم وانهضْ

مثلما كنت منيراً تتحدى عتمة الكون الضريرْ

حينما زرتك في المشفى المريضْ

وتدانيت كثيراً من ظلالكْ

لأشمّكْ

وألمّكْ

وأزيح الشوك من ز هرة بالكْ

كان كل الناس مرضى

والأطباء كذلكْ

وحدك الكنت سليماً وجميلاً كالضحى

وحدك الكنت شفيفا

وبليغاً كعبير الياسمينْ

أنت لم تمرض ولكنْ

جاءك الكون مريضا

فتعافى وسقمتْ

جاءك الشعر جريحا

فتشافى ومرضتْ

مثل كل الشرفاء الغرباء الطيبينْ

أخي كمال

يا توأم الروح

شعر: عبود رشيد

كنــــا أخــــي جســــدين في روح وفي نفــــس ســــواءْ

كنــــا أخــــي في خــــاطرٍ متوحّــــدٍ بــــدمِ الإخــــاءْ

كنــــــا كإشــــــعاع الضــــــياءْ

إشــعاع فجــرٍ ســاطعٍ قــد شــف عــن معنــى النقــاءْ

خِلّــــين كــــالظلّين يلتقيــــان صــــبحاً أو مســــاءْ

كنــــا إذا ذكِــــر الوفــــا والــــود أنقــــى الأوفيــــاءْ

في عــــزة للــــنفس تنبــــت في رباهــــا الكبريــــاءْ

كنــــا نجــــيء النبــــع ملــــهوفين شــــوقاً وارتــــواءْ

كنــــــا كأمطــــــار الشــــــتاءْ

والأرض ظمــــأى والأمــــاني حولنــــا ترعــــى ظِمــــاءْ

كانــــت لنــــا دومــــاً ثواقــــب نظــــرة نحــــو الصــــفاءْ

أكمــــــال يــــــا رمــــــز الرّنــــــاءْ

مـــن بعــد فقــدك يــا أخـــي ضــاع المؤمّــلُ والرجــاءْ

قــد كنـــتَ ســاعديَ الــذي أوهــاه ســهم ذو مضــاءْ

لم يبــقَ مـــن قلـــبي ســوى جـــرح تضـــرّع بالـــدعاءْ

الصـــــبر تريـــــاق الـــــبلاءْ

أكمـــال بعـــدك يـــا أخـــي ناجيـــتُ أبـــوابَ الســـماءْ

لأطـــل فيهـــا مـــن بعيــد كـــي أرى فيـــك الرجـــاءْ

وأراك في روضٍ هياسمـــــــه أزاهـــــــيرٌ تُضـــــــاءْ

وأراك بـــين الحـــور في وهـــج المســـرة في بهـــاءْ

نحـــن الأســارى يــا كمــال تشــدنا أيــدي القضــاءْ

لله أمـــــرٌ لا يُـــــردُّ فحكمـــــه فيمـــــا يشـــــاءْ

والكـــــون آخـــــره الفنـــــاءْ

لـــو كـــان يعلـــم واحـــد بمصـــيره عنـــد اللقـــاءْ

لوجدتـــه قـــد عـــفَّ عـــن نِعَـــمٍ يراهـــا في الرخـــاءْ

فحياتنـــــا ومماتنـــــا في هـــــذه الـــــدنيا ســـــواءْ

ترعـــــاك عـــــين الله في دار الســـــعادةِ والهنـــــاءْ

ترعـــاك في ذكـــراك في تقـــواك يـــا رمـــز العَـــلاءْ

في جنـــة فيهـــا نعـــيم دائـــم ممـــا نشـــاءْ

أكمـــال ذكـــرك خالـــد بـــالعلم يـــا بحـــر العطـــاءْ

بالـــدين أنـــت مُحَصَّـــنٌ، والخُلْـــقُ توّجَـــه الحيـــاءْ

أمضـــيتَ عمـــرك داعيـــاً، ولزمـــت دربَ الأتقيـــاءْ

مـــن كـــان مثلـــك يـــا أخـــي فلـــه مقـــام الأوليـــاءْ

ولنـــا حبـــال الصـــبر بعـــدك إنهـــا نعـــم العـــزاءْ

*** **** ***

قـــد كنـــتَ مبـــدعَ حكمـــةٍ ببلاغـــةِ الحـــرف المُضـــاءْ

وزنـــادَ فكـــر ثاقـــبٍ في العقـــل يشـــعله الـــذكاءْ

فلَكَـــمْ مقـــال قـــد حـــوى معنـــى البطولـــة والفـــداءْ

قـــرّاؤه قـــد عُـــوِّدوا منـــك الحقيقـــة لا الريـــاءْ

*** **** ***

قـــد كنـــتُ مغتربـــاً وإذ خـــبرٌ أتـــاني باســـتياءْ

فتركـــتُ خلفـــي أســـرةً؛ لقضـــاء حـــق للوفـــاءْ

فرجعـــتُ أســـتبق الزمـــان يخـــيفني مُـــرُّ اللقـــاءْ

قـد عشـتُ صـمتك آمـلاً فـرج الإلـه مـن السـماءْ

أغلـى الأمـاني همسـة مـنكم تعيـد لـي الرجـاءْ

لكـن كسـراً هـدّني لّمـا قضـى البـاري وشـاءْ

قـدر الإلـه وحكمـه قـد كـان ميـزان القضـاءْ

فَقْـدُ العظـيم لمفجـعٌ والعـين تمطـر في سـخاءْ

*** **** ***

يـا حادثـاً ألقـى أخـي مـن غـير وعـي بـابتلاءْ

وبريـق جـوهرة خبـا، مـا عـاد يسـطع كالسـناءْ

مـن دون نـزفٍ ظـاهرٍ تبديـه قطـرات الـدماءْ

والعـيس بعـدك قـد غـدا ضـيقاً يحـيط بـه الـبلاءْ

في وجهـيَ الـدنيا غـدت وكأنهـا نثـرت هبـاءْ

لكـن وجـه حبيبنـا كانـت ملامحـه انتشـاءْ

في عيشـةِ أبديـةٍ يحيـا بهـا والأنبيـاءْ

*** **** ***

أأبـــا بـــلالٍ لم تـــزل نجمـــاً تـــلألأ في الســـماءْ

مـــا زلـــت تحيـــا شـــامخاً، ذكـــراك عطّرهـــا الوفـــاءْ

ذكـــرى نعـــيش بفضـــلها، والســـيف يـــأبى الانحنـــاءْ

مـــا زلـــت تحيـــا بيننـــا، فعـــلام ننطـــق بالرثـــاءْ؟!!



ويتواصل الأوفياء

في وداع الدكتور كمال رشيد[1]

عبد الله أبو حسان
★من أسرة المدارس العمرية★

عصية هي الحروف، ومتأبية هي الكلمات. الصمت سيد الموقف في حضرة رحيل الكلمة الشاعرة، الكلمة التي لونت أفق الأمة؛ وتماهت مع مساحتها الموغلة في الامتداد مكاناً وزماناً، الآن بعدما لملمت أشواقك ورحلت.. سيرونك جيداً، سيرونك بحجم الفراغ الذي خلفته؛ وباتساع الدهشة التي سترسمها الأعين. كنت رقيقاً بحق، وشاعراً بحق؛ يكاد يكون صوتك همساً ولكنه مدوٍّ في الآفاق.

أعترف أننا لم نكن نراك كما تستحق أن ترى، وكما أنت حقيقة مشرقة كالشمس.

أزمتك الأخيرة وإصابتك كانت قاصمة ليس لها عاصمة؛ جعلتنا نحس كم هي قيمة المبدع في نظر كثير من الناس؛ فخلال ثلاثة أشهر خلت وأنت تعيش معنا بجسدك نراك ولا تعرفنا... ها أنت ترحل من هذه الدنيا.. ترحل وتترك خلفك ذكريات الرجل المضيء. الأديب الذي كلما تصفحت ذاكرته المليئة بالفكر؛ وقلبه النابض بالحب؛ وغيماته المكتظة بالمعرفة؛ ألفيت مفكراً بكل مفاهيم الفكر، وشاعراً يحمل هموم دينه وأمته ووطنه؛ وكاتباً يحمل بين جنبيه إصراراً في البحث بصبر لا يملكه إلا العظماء.

فأنت من الأدباء الذين حملوا هموم ومآسي القضية الفلسطينية بوصفها قضيتهم وقضية الأمة العربية والإسلامية... وأحد الوجوه الأدبية والفكرية البارزة في الساحة الأردنية.

---

(١) نشرت في جريدة الدستور ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٨م.

عرفت أستاذي القدير شاعراً منذ نعومة أظفاري. منذ أن بدأت أتهجى أبجديات المعرفة من خلال قصائده القليلة التي ضمنت في كتب المدرسة، عرفته رجلاً؛ في كلماته شجى؛ ولإيقاعات قصائده هديل، ينقلك من قصيدة لأخرى كأنه ينقلك من روض إلى روض أكثر اخضراراً، ومن زهرة إلى أخرى أزكى عبيراً وشذاً فواحاً، كأن شعره ما زال- بنبضه الحي- يتمشى بين جوانحنا وينفث سحره وبهاءه في أعماق الوجدان. أجل فهو شاعر رائد، وهو شاعر مجدد في عصره، يجري الشعر في وجدانه، وعلى لسانه جريان الدم في أوردة الحياة وشرايينها، جريان النفس في عالم عبق يشع صفاء ونقاء.

أخلص نفسه وقلمه لخدمة الأمة في شتى جوانبها، فكانت مقالاته عبر جريدة الدستور شاملة لكل مناحي الحياة؛ فكان أن أخرج لنا الدرر، وكشف خبايا الأزمنة، فقدم لأمته خلاصة فكره؛ وعصارة فهمه، من أجل إضاءة لغابر دثره الزمن، أو ألقى به في غياهب النسيان، ها هي"العمرية" تبكي كمالها؛ وهي حينما تبكيه فإنها تودع نخلة باسقة آتت أكلها شعراً وأدباً وحباً، أصلها ثابت في الأعماق؛ وفرعها ممتد حتى حدود الأفق.. تعاهدك العمرية يا سيدي أن تبقى شامخة كما علمتها؛ وكما أردت لها أن تكون، بعون الله، منارة علم تحتذى تخرج أجيالاً ترفد الأمة بالعظماء.

لا يسعني إلا أن أقف مع مقتطفات من حياة هذا الأديب الفذ، فقد ولد الأديب كمال عبد الرحيم رشيد عام ١٩٤١م في قرية الخيرية إحدى ضواحي مدينة يافا بفلسطين؛ رحل كمال مع أسرته إلى قرية بديا بمنطقة نابلس؛ ودرس بمدرسة بديا من الصف الأول الابتدائي حتى الصف السابع. هاجرت الأسرة بعد ذلك إلى مدينة نابلس، وسكنت مخيم عين الماء(١٩٥٦- ١٩٦٧)، بدأ العمل معلماً في مدارس مدينة طولكرم، وأكْرِمْ بها من مهنة... إلا أن طموحه للعلم دفعه لمواصلة الدراسة الجامعية، فدرس في كلية الآداب بجامعة دمشق، وحصل على

البكالوريوس في اللغة العربية عام ١٩٦٩م درّس في المغرب، وواصل طموحه لإكمال دراسته العليا فتخرج في جامعة محمد الخامس بالرباط، وحصل على شهادة الماجستير في علوم اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٧٩م.

عاد إلى عمان وعمل في إدارة المناهج، وواصل بعد ذلك دراسته العليا في الجامعة الأردنية، فحصل على الدكتوراه في علوم اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٩٦ بتقدير ممتاز، وكان موضوع الرسالة التي قدمها "الترادف في القرآن الكريم".

أصدر العديد من المؤلفات للكبار والصغار منها:

١- ديوان " شدو الغرباء".

٢- ديوان "عيون في الظلام".

٣- ديوان "القدس في العيون".

٤- ديوان "نسائم الوطن".

٥- أشواق في المحراب.

٦- تأملات في السنة.

٧- مجالس الإيمان.

٨- الزمن النحوي في اللغة العربية.

ختم حياته بإدارته الناجحة للمدارس العمرية فأصبحت تحتل مركزاً متقدماً ضمن المدارس الخاصة في عمان.

إن رحيل الدكتور كمال رشيد خسارة ليس للمدرسة ولا لبيته فحسب، وإنما للوطن بأكمله ولكنا نؤمن بقضاء الله وقدره فوق كل إرادة رحل عنها وابتعد بجسده ولكنه باق بذريته الصالحة، وعلمه الذي يُنتفع به، وستبقى موجودة من خلال كتبه العامرة التي ستحيي أثره من بعده. رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جنانه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كلمة وفاء... إلى رجل العطاء[1]

الدكتور كمال رشيد

★ محمد أبو ريش
رئيس مجلس الطلبة- المدارس العمرية

أبانا

لقد صعقنا حين سمعنا خبر رحيلك، فو الله إن رحيلك ليس كرحيل أي شخص، فأنت الأب وأنت المربي، أنت من كان عطفه يغذي أرواحنا، ومن كان مديحه لنا يثلج صدورنا.

كلنا لم نصدق الخبر في البداية، ولكن الدموع جاءت لتقول: لا بد من فراق الأحبة، لا بد من لحظة الوداع،،

جاءت لتقول: اصبروا... فإن وداع الأحبة صعب،

قالت لنا: من يستطيع أن يوقف سفينة القدر إذا شاء الله لها أن تسير في بحر الموت وتطلق أشرعتها لتحركها نسمات الرحيل.

عرفناك أيها الأب، وعشنا رحيلك أيُّها المربي، أيها الرجل المعطاء، أيها التاريخ المشرف، ستبقى خالداً في قلوب كل من عرفوك وعرفوا فضلك.

لن تنسى من ذاكرة التاريخ كما ينسى الآخرون، سيبقى ذكرك على لسان كل أبنائك؛ وسيذكرون فضلك عليهم، فقد بذرت في قلوبهم بذرةً سقيتها بالإيمان؛ لتنبت وتخرج ثمار العلم والأخلاق. سيبقى قلمك يحاكي كل أديب وكل شاعر وكل إنسان سيعيش من بعدك، سيبقى نبراس العلم الذي كرست نفسك من أجله عامراً بك وإن غاب جسدك عنه.

---

(١) جريدة السبيل ٨- ١٢/ ٤/ ٢٠٠٨.

فما زالت صورتك وأنت تشجعنا وتحثنا على العطاء عالقة في مخيلتنا؛ وما زال صوتك وصوت أشعارك يرن في أذهاننا، ستبقى حياً في قلوبنا، يا من حملت على عاتقك تربيتنا، يا من حملت على عاتقك أن تربي جيل النصر، جيل التحرير، جيل استرجاع القدس، تلك المدينة التي طالما اشتقت لها في شعرك؛ وحلمت أن تصلي على ثراها، ولكن الموت كان أسرع من ذلك، أما حنينك فبقي حياً ولم يمت في قلوبنا، فسنكمل الطريق من بعدك؛ وسنحمل الراية ونصونها، وسنضحي كما ضحيت حتى نصل إلى ما وصلت إليه؛ ونكمل المشوار الذي بدأت.

لن ننساك أيها الأب، فكيف لنا أن ننسى منبع الفضل، كيف لنا أن ننسى شمساً غابت حلقتها ليبقى نورها يغطي الكون وينشر الدفء والعطف، وتبقى أشعتها لتحاكي أبناء الأمة، أبناء العمرية، ليسيروا على ما سار عليه مربيهم.

ودعنا أخاً وحبيباً[1]

أحمد فايز الهرش

منسق التربية الإسلامية – المدارس العمرية

يحار المرء... عمّا يتحدث... وهو في حضرة حدث جلل، ومصاب أليم أصاب الأسرة الأردنية جلها بفقدها مربياً عظيماً، وعالماً جليلاً، وأديباً بارعاً، وشاعراً مخضرماً... نعم بم أبدأ والفقيد الغالي هو كمال رشيد رحمه الله ... أأبدأ برثاء الفقيد لنفسه بشعره بقوله:

اليـــوم ودعنـــا أخـــاً وحبيبـــاً   وغـــداً يودعنـــا أخٌ وحبيـــبُ

ولربمـــا نمضـــي بغـــير مـــودع   فالوقـــت ليـــل والمكـــان جـــديبُ

نمضـــي كمـــا تمضـــي السـنون كئيبـة   ثكلـــى وأمـــر المســـلمين عجيـــبُ

إنـــا نمـــوت بكـــل يـــوم ســـاعة   فالـــذل مـــوت والنعـــيم كـــذوب

أم أبدأ بشعره الذي عاش به هَمَّ أمته وفاضت مشاعره فعبرت وثارت عواطفه فنطقت، صممت إرادته فربى أجيالاً:

حسبي من الشـعر أن مجـدت أوطـاني   سـجلت مـا شـاده بـالعزم إخـواني

رحمك الله أبا بلال فقد حددت طريقك مبكراً بقولك:

لكـن أهـل التقـى والحـق مـا عرفـوا   إلا الطريـــق إلى جنـــات رضـــوان

رحمك الله أبا بلال فقد أعلنت الإباء، ورفضت الذل بمواقفك العظيمة:

---

(١) جريدة الدستور ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٨.

أيهــا القــوم لســتُ أنــدب حظــاً لســتُ أشــكو والحــر لــيس يلــوم

إنمـا أعلــن الإبــاء ورفــض الــذل إنــــي خـــير الـــبلاد أرومُ

يا من مدحت أهل فلسطين ووقفت بجانبهم، طوبى لك وأنت تقول:

أيهــا الأهــل غربــي نهــر الأمــاني أيهــا الثــابتون خلــف الحــدود

أنـــتم الأهـــل إنْ أردت إنتســـاباً أنـــتم في القصـــيد بيـــت القصـــيد

ولم تخفض رأسك الشامخ إلا لأطفال الحجارة:

الآن أخفــض رأســي لــلألى رفعــوا رأســي مــا بســواهم يرفــع الــرأس

حق الحزن على رجل مجد الشهداء وأحبهم، نعم لنحزن على أبي بلال الذي قال في الشهيد:

يـــا ســـيد الأبطـــال معـــذرة إنـــي التمســـت بحـــبكم فضـــلا

إنـــي أنـــال بمـــدحكم شـــرفاً هـــلا قبلـــت مـــودتي هـــلا

أنـــت الشـــهيد وأمـــك الثكلـــى وجهـــان في الـــدنيا همـــا الأحلـــى

رحمك الله يا شاعر القدس الذي قلت فيها:

هي القدس والأقصى ومسرى محمد بهــــا بركـــــات الله والله قالهـــــا

ومدح أطفالها قائلاً:

ألا يا صـغار القـدس صـرتم فوارسـاً وثــورة أهــل الأرض صــرتم نبالهــا

وفي قصيدة الله أكبر قلت يا عاشق القدس:

مـاذا أقـول لكـم؟ في القـدس أخبـار — كأنهـــا في عيـــون القـــوم أقـــدار

في القـدس نـار علـى الأعـداء نازلـة — وفي أيـــادي بنـــات الـــرام أحجـــار

يا أبا بلال إن رحلت بجسدك عنا فإن أطفالنا ما زالوا يرددون كلماتك وينشدون أشعارك:

علمتنـــا يـــا طفلنـــا الدرســـا — ذكرتنـــا مـــن قبـــل أن ننســـى

أنـــا لنـــا أرضٌ قـــد اغتصـــبت — أن اليهـــود اســـتوطنوا القدســـا

أطفالنـــــا عرفـــــوا ســـــبيلهم — وبهـــم ســـيرفع قومنـــا الرأســـا

وجمعت يا صاحب الفكر الثاقب أسباب هزائم الأمة بقولك:

قســـمتنا الأهـــواء قســـمة غُـــبن — فحـــــدود ورايـــــةٌ وزعـــــيمُ

ردةٌ، فرقـــــةٌ، خـــــلافٌ، قتـــــالٌ — وعـــدو في القـــدس بـــات يُقـــيمُ

كلنـــــا اليـــــوم قاتـــــلٌ وقتيـــــلٌ — كلنـــــا اليـــــوم لائـــــمٌ وملـــــومُ

بل إن فقيدنا الغالي لبى نداء حرائر القدس قائلاً:

يـــا أخـــت لا تتبرمـــي فغـــدا — نأتيـــك نحمـــل رايـــة النصـــر

وأدركت يا سيد الأحرار حقيقة الدنيا الفانية:

نم يـا فـؤادي فمـا يجـديك تسـهيد — والسـعد لا يشـترى والعمـر محـدود

عجائــب العــيش أن الحـــر مـــتهم وكـــــل أقوالـــــه زور وتفنيـــــد

وبـــائع الـــدين والأوطـــان محـــترم ومـــا يفـــوه بـــه رأي وتســـديد

وما أجمل أن تقصر أبا بلال شعرك للشهيد:

كـــــلُّ القصـــــائد للشـــــهيد للبـــــأس للعـــــزم الشـــــديد

للحـــــــق للإخـــــــلاص للإيمـــــــان للنصـــــــر الأكيـــــــد

رفـــــض القعـــــود علـــــى الهـــــوان وذم أخـــــلاق العبيـــــد

سلام على من سلم على رسول الله فأبدع وأجاد، سلام على روحك الطاهرة يا أبا بلال وأنت تخاطب رسول الهدى:

يـــا رســـول الهـــدى وخـــير الأنـــام لـــك مـــن مســـلم أحـــبُّ ســـلام

وصـــــلاة تزيـــــد قلـــــبي يقينـــــا وحنينـــــا لعـــــزة الإســـــلام

ولـــد الخـــير إذ ولـــدت رســـول الله يـــا ســـيدي ونبـــع احترامـــي

آه من غربة الوطن الذي عبث في الصدر، آه من الظلم العاني الذي حرك مشاعر كمال رشيد قائلا:

أكثر من شيء يعبث في صدري...

حبي وحنيني، سنوات الهجر...

والوطن الغالي يرسف في الأسر...

والصوت الآتي من خلف النهر...

والظلم بعيني يتلألأ...

لكن الجمرة في قلبي...

وطيوف الغربة تأتيني...

والجرح كبير لا يهدأ...

لم ترض يا أبا بلال بعالم سخيف فرضيت بما عند الله فأنت القائل:

عالمي يحمل أشياء سخيفة...

كلنا يرجو رغيفه...

كلنا يحلم بالجمع وبالنفع وبالدار المنيفة...

يوأد الفكر...

يقتل الأحرار ونفضي...

ولقد أدركت- رحمك الله حقيقة دنيا الفناء:

أنا لا أبكيك يا دنيا الفناء..

أبكي ذاتي الحمقاء...

كيف استعذبت هذا الغباء...

أن أعيش العمر في زيف وحيف وعناء...

أسرع الخطو إلى القبر...

إلى دار الفناء. دقت الساعة يا دنياي وانحل الرجاء...

وأنا مازلت لم أكمل مشاريعي ولم أتمم صلاتي والدعاء...

دقت الساعة...

ضاع الوقت ما أتممتُ إعداد الجواب...

كيف ألقاه؟؟ وفي ذاتي ذنب لست أنساه...

وإن طال البقاء...

* * *

رحمك الله أيها الحر وأسكنك فسيح الجنان.

كمال رشيد

د. محمد أحمد موسى صوالحة

جامعة البلقاء التطبيقية

عرفت الأستاذ كمال عندما عيّن في مدرسة عصيرة الشمالية، حيث جاء للقرية آنذاك في فترة الستينيات، حيث أخذ يُدرِّس اللغة العربية لأبناء القرية، وكان يربي نفسه بالمطالعات وحفظ جيد الشعر ويسمر به مع أصدقائه من معلمي القرية ويقلده فيما يقوله من الشعر، جلس فترة من الزمان كغيره من الأساتذة، وترك أثراً طيباً في نفوس الطلبة، حيث كان يدفعهم إلى حفظ الشعر، وحفظ ما لذّ وطاب من أدبنا العربي، لم نعرف قيمته إلاّ بعد أن دخلنا الجامعة.

دَرَس أستاذنا كمال رشيد الأدب العربي في الجامعة السورية، ثم قادتنا الظروف وعملنا معاً حيث كان رئيساً لقسم التحرير اللغوي الذي كنت عضواً فيه، وكان هذا قسماً جديداً في المديرية العامة للمناهج، وكان أعضاء القسم يحملون درجة الماجستير، وحاول أن يعلي من شأن أعضاء القسم ويرفع من شأنهم، لكن الظرافة وخفة الدم التي كان يتسم بها أستاذنا جعلنا كأعضاء في القسم نشعر بقيمته الفنية والأدبية، وكثيراً ما كنا نتحاور وإياه في القضايا الأدبية والنقدية، ولأنه كان شاعراً كثيراً ما كان ينتصر علينا بآرائه الأدبية والنقدية. ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لخفة ظله منفذاً ولشقائه مسعداً، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة والنادرة المستملحة فضحك من البؤس ومن الشقاء، وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة، فما يسمع حديثاً أو يعرض أمامه شيء حتى يدرك موضع الفكاهة منه، فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين مِن أعماق صدورهم وقرارات قلوبهم، وكان موضع إعجابهم ومنبع سرورهم، يرسل النكتة من بديهة حاضرة،

تستخفّ الوقور، وتستهوي الرزين، فهو زينة المجلس دائماً بأحاديثه ونكته التي كان يقولها بين الفينة والأخرى.

رحمك الله يا أبا بلال وأسكنك فسيح جناته، فقد كان شعرك في نظري فيضاناً من شعور قوي، سما به الخيال وحلاّه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان، واجتمع فيه عاطفة وخيال وصياغة وجمال عبّر عنها بالبحور والأوزان، ولهذه الأوزان أثر في النفوس، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه في رقة ولين في شعر الوصف، وقوة وجلبة في شعر الحماسة.

أمّا عاطفته فقوية فياضة، فما يسمع شعره سامع، ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه وهاجت مشاعره.

وترجل فارس الكلمة

م. نضال البزور

نزل القضاء فزاغت الأبصار.. وتجمعت أدمع جداول وأنهارا... واسترد الرحمن وديعته وانقطعت أخبار....

فجع المجتمع الأردني كما فجعت الحركة الثقافية والأدبية والإسلامية بفقدان علم من أعلامها، وركن أصيل من أركانها، ومؤسس فاعل لرابطة الأدب الإسلامي، وفارس من فرسان الكلمة الجريئة الحقة.

الفاجعة هي وفاة الدكتور الأديب خلقا والأديب علماً (كمال رشيد) رحمه الله رحمة واسعة.

هذه الفاجعة أحس بها كل من يمتلك الإحساس والذوق والشعور الديني الرفيع، حيث شيعت جموع الأمة وصفوة صفوتها وخيرة الخيرة فيها أحد أبنائها البررة، الذي كان رفيق الكثيرين، وصديق المحبين، فقد كان كمالاً في خلقه، رشيداً في سلوكه، وإني والأحبة نستذكر أيامه الخوالي، وجلساته الرائعة، ونقاشاته وحواره مع مؤيده ومخالفيه، فكان يجمع الناس على قواسم مشتركة، فكانت تلك الجلسات مدرسة تربوية وأدبية ننهل منها بما يفتح الله عليه من أطايب الكلام، له (كاريزما) آسرة أسرت واستحوذت على من عرفه مما آتاه الله من حسن المعشر وصدق المظهر والجوهر.

وما جمع المعزين من هذه الصفوة المباركة الذين عزوا أنفسهم،وما هذا البكاء الذي أمطر دموعاً حرى صادقة إلا دليل قبوله بإذن الله.

فقد بكته القلوب قبل العيون بعد أن ملك القلوب...

روي لنا أن نذكر محاسن موتانا... فماذا نذكر؟!.... وماذا نعدد؟!!

أنذكر أدبه، كتاباته، شعره، نثره، فقد شدا للغرباء... فأصبحنا بعده الغربـاء... ففقد الأحبة غربة...!

وبكى للقدس وقال: القدس في العيون، فبكته العيون.

لقد كان أبو بلال في حياته حياةً لغيره، كما صار بعـد مماتـه حيـاةً لمـن بعـده، حيث بصدمة رحيله أيقظ ورقرق القلوب.

لقد اختارك الله لتكون في جواره... ونعم الجـوار... واختـارك الله- والخـيرة فيمـا اختـاره الله- والله اختـارك بقـدر بعـد أن أصـبح بـاطن الأرض خـيراً مـن ظاهرها...

لقد مات الكثير، وتأثرنا بالكثير، ولكن رحيلك يا أبا بلال كسر قشرة الاعتياد على الموت التي غلقت القلوب، وترك في الأفئدة جرحاً غـائراً يصـعب نسـيانه بـل يكاد لا ينسى.

لقد كان أبو بلال كتاباً مفتوحاً، كتاباً قيما؛ والآن طويـت صـفحاته، وانتهـت حلقاته، بعد أن خط وسطر أسطرا مضيئة في صفحات حياته. فانطفأت شعلة الحياة اللآهبة العظيمة التي كانت تتلألأ في الأعماق، تسطع وتتألق وتضيء، فكان في ذاته قصة طموح اكتملت، ورحلة مجد انتهت.

يا من رحلت عن الديار مسلماً... كم أنصت لحديثك السمار... فرحلت عنـا فجأة في ليلة ليلاء... وانطفأت الأنوار، وحمل نعشك الأخيار.. فقد الأحبة غربة... وأنت مشتاق لربك تسعى إلى مشتاق...

أبا بلال... الجرح ينزف والمصاب جليل...

أبا بلال لا نقول وداعاً... بل إلى لقاء.. إن لم يكن فـوق الثـرى... ففـي جنـة رب السماء... رحمك الله أبا بلال رحمة واسعة

(في وداع الشاعر الكبير د. كمال رشيد)

بقلم مها الجيلاني (أم معاذ)

ثلاثة أشهر... مرت ثقيلة

كما تتساقط الشهب من السماء

كانت أحداث الألم تمتد بنا من وجع إلى وجع

*****

ثلاثة أشهر

ونحن نرقب الأحداث والأخبار علّنا نحظى ببشارة الشفاء

لكنها نذُرُ الموت تمتدّ وتلوح برايتها السوداء

وقدرٌ كتبَ علينا فراق الأحبة وعظماء التاريخ

أولئك الذين نشأنا ونحن نقرأ كلماتهم، ونتعلم من طيب سجاياهم

كان القدر يلقي في طريقك حادثة صغيرة، كنت لتخرج منها معافى لولا قدر نؤمن به، ونستسلم لحكمة الله فيه

يأبى الله عز وجل – بإذن الله- أن تخرج من الدنيا إلا وقد قالت لكم الملائكة: "طبتم فادخلوها خالدين".

وكأن الدرجات تنافست أوجاعك وجعاً وجعاً؛ لترتقي لمنزلة نسأل الله أن يكون قد اختارها لك منزلة خصصت لأهل البلاء

يا بيارات يافا

قد آن نزفٌ جديد

فلتبك شواطئك السليبة غياب حبيب جديد تاق لأن يكون الارتماء الأخير في حضنك

يا بيارات يافا

قد رحل حبيب جديد

قد ترجم حبك قصصاً وأشعاراً

وارتسم حلم الإسلام المشرق عظيماً في عينيه... كما كان هو عظيماً في تحقيقه!

ألا ليت شعري حين كنت سيدي (كمال) تجلس وأنت تتحدث بتؤدة، فتخرج كلماتك من أعماق كهف أسطوري، تحمل في ثناياها رقة الشعور وعظمة الفؤاد.

أبي كمال:

قد كنت ممن تلقفوا أشعارك طفلة... ودرجت أحلم باسم العمرية التي اقترنت بها في زواج انتهى بأن أصبحت أرملتك الحزين

فها نحن نمر بطابق كنت فيه فنلمح عزلة الجدران والأروقة... وحزناً شفافاً مسّ كل الأفئدة التي عرفتك

ومقعداً شاغراً كنت تملؤه، لتستقبلنا في العديد من المقابلات، وأنت تلقي على المكان برهبة العظماء

أبناؤنا وبناتنا الآن قد مستهم نسمة طيبة

لا ريب أن روحك طافت بكل الأحبة.... ومكانك المقدس حيث كانت الرؤى لنشر العلم والمعرفة ممتزجاً بوحي القرآن ونهج السلف الصالح

لا ريب أنها الآن تمر بنا ونحن نشرق بالدمع لا فرقاً سيدي – حاشا لله- لكنها رحمة مسّت قلوبنا وحزن للفراق.

أراك الآن تمتد نحو يافا، تعصر دمعك المحزون فوقها، وتقبل رملها الممتد

أراك الآن تسحب بسط الشعر التي كانت تموج في عباءتك كلما ألم بك طارق لتقول لنا: أنا إن مت فلا تبكوا رحيلي لكن امضوا لتحقيق الحلم

وأرى رفيقة العمر التي سبقتك قد استعدت للقاء

فيما تلهج ألسن الأحبة والتلاميذ لك بالرحمة والغفران

أبي كمال:

مرثية نزفها القلم حال سماعه بالنبأ، فاعذرني إن تاهت، لم تكن هذه سوى الكلمات

فلقد هطلت مني على حين غرة... شأنها في ذلك شأن الدموع التي ملأت عيون الكثيرين الآن

أبي كمال:

أسأل لك رفقة خير الأنبياء والصالحين

نسأل الله أن يتغمد روحك الطهور برحمته التي وسعت كل شيء

وأن يثبتك عند السؤال

وأن لا يفتننا بعدك

ولا حول قوة إلا بالله

والسلام

ترّجل الفارس العمريّ

⋆ رفقه عادل

منها وإليها... هكذا قال لي عرّابي.

للحظة الأولى لم أفهم ما عنى... حتى يومي هذا... يا ليتني بقيت على جهلي، ولم يكن شارح هذا المعنى أبي الكبير – **د. كمال رشيد** –...

اليوم يكتمل نهاري بفقدان رهيب... ذهب عني ذاك الأب العظيم...

اليوم يحار محباري ويخونني التعبير... لصباح ليت ليله طويل...

ها قد ذبلت تلك الوردة التي طالما أمدتني برحيقها...

كيف لي أن أخط، وقد أسر قلمي وكفّنت وردتي!!!

تلك الوردة التي كانت القدوة... ذبلت دون وداع...

معلمي... ماعساي أن أفعل إذا عاد ذاك القلم يجبرني على الكتابة من بعدك...

عرفت فيك العطاء والخير والكرم الذي كنت تذرفه علينا...

عرفت فيك إيمانك الذي كنّا نقتدي به...

عرفت فيك بحر علمك الذي استقينا منه الكثير...

عرفت فيك قلمك الذي حفر في قلوبنا رؤيتك...

معلمي... ليت الأيام تعود حتى أبوح لك عن مدى شكري...

ليت الأيام تعود حتى يكون لي حق الوداع...

ذهبت عنّا... ونحن ننتظرك...

ذهبت عنّا... ولا أمل في لقاء قريب...

ذهبت عنّا... **وأغلق بابك ولأول مرة...**

الدكتور... كمال رشيد[1]

• دانة الناصر

في جدران العمرية نشأت.. وبين ضلوعها كبرت.. وفي ربوعها كنت أشاهد ذلك الرجل العظيم.. ذاك الأب الحنون والمربي الفاضل.. الذي يشعر جميع من حوله بقيمهم الإنسانية.. سواء أكانوا كباراً أم صغاراً.. لقد كان ذلك الرجل الدكتور كمال رشيد..

نعم إنه الدكتور كمال رشيد.. الرجل المعطاء.. والرجل المربي.. والرجل الذي ملأ قلبه فكراً مميزاً، ففاض ليملأ الدنيا شعراً معبقاً.. شعراً يحمل حب الأوطان.. ودواوين شعرية يفوح منها مسك الريحان.. مما جعلني أفخر بأني عمرية أكثر فأكثر.. ليس أنا وحسب بل كل العمريات اللواتي التهبت قلوبهن بدعاء وصلاة حين علمن بمرضك يا دكتور..

ومضت ثلاثة أشهر والعمرية وقلوبها تشتعل دعاء.. وجدرانها تحترق شوقا.. وأركانها تدعو بحرارة لكي تعود زاهية من جديد..

ولكن قدر الله العلي العظيم واقع.. وحانت ساعة الفراق.. ورحل الدكتور كمال رشيد واعتصرت قلوبنا حزناً وألماً.. والله يا دكتور.. العمرية فقدت روحاً وجزءا منها.. وما أغلاه من روح.. إن عيوننا لتدمع.. وإن قلوبنا لتحزن.. وإنا على فراقك يا دكتور لمحزونون.. وسنبقى على نهجك سائرين.. وعلى عهدك باقين.. وإنا لله وإنا إليه راجعون..

---

(١) طالبة في المدارس العمرية، نشر في الدستور ٩-٤-٢٠٠٨

رحمك الله يا أبا بلال

منذر قنديل[1]

أكتب هذه الكلمات وقلبي يتفطر حزناً وبكاءً، على الأخ الحبيب والمربي الفاضل الدكتور كمال رشيد، على الرغم من قصر المدة الزمنية التي عرفته بها، التي لم تتجاوز العام والنِّصف عندما كنت أحضر رسالتي الجامعية، فلم أجد أفضل من الدكتور كمال، رحمه الله، وعندما تعرفت على هذا الأخ الحبيب وجدته إنساناً طيب القلب، نقيّ السريرة، حسن الخلق، كريماً جواداً، في عينيه مسحة حزن وهمٌّ كبير، ولكن هذا الهم ليس أولاده وعائلته والدنيا، إنما همه كان في أمرين هما: أمته وبالأخص وطنه فلسطين التي احتلها اليهود الغاصبون وشردوا أهلها، وكان الدكتور من هؤلاء المشردين، والقضية الأخرى طلابه الذين كان يقضي معظم وقته من أجل إنشاء جيل محب لأمته ووطنه، وكان يرى بهم رمزاً لتحرير البلاد والأوطان، وإعادة أمجاد الآباء والأجداد.

وفي الجانب الآخر لقد كان الدكتور رجلاً متواضعاً تقياً يخشى الله حق خشيته، وهذا واضح من أعماله، ومن الأمثلة على ذلك ديوانه (أشواق في المحراب) الذي يمثل لي تأملات صوفية في حب المولى، وهدفه من ذلك الحصول على رضوان الله والفوز بالجنة.

كان الدكتور كمال كالغيمة المثقلة بالمطر التي تحل بالخير أينما حلت، ولقد ظهر في حياتي كالبرق الذي أضاء لي الطريق ثم اختفى.

---

(١) قام بإعداد رسالة ماجستير عن الدكتور كمال رشيد.

وفي النهاية أقول: رحم الله الدكتور، وأدخله فسيح جناته، وأدعو الله أن يلهمنا الصبر والسلوان، وأقول كما قال أحدهم:

من قاس جدواك بالسحب أخطأ مدحك.

فالسحب تعطي وتبكي وأنت تعطي وتضحك.

ابنك المحب: منذر قنديل

جدي الحبيب ألا تجيب؟!

• حنين بلال كمال رشيد

جدي يا أغلى من قلبي وروحي.. إليك بعض الكلمات ويا ليتها تعبر عن حبي وشوقي إليك... أيها الجد العزيز أفخر بك ويا ليتني معك في جناتِ رضوانِ....

جدي.. جدي .. جدي.. تعبت من الذكريات وقلبي يتسارع بالنبضات.. وحلمي ما زال ينبض بالجد كمال.. ينادي ويسارع عله يأخذني معه إلى جنة الرضوان...

تعال وخذني معك علك تخفف عني حزني وألمي... أحبك من كلِّ قلبي يا جدي كمال.. التفكير يشغلني بك وبجدتي، فسلام عليكما أيها الأوفياء... لقد كنتما معي في هذه الدنيا.. فهل نكون سوياً في السماء؟!!

عشت معك أربعةَ عشر عاماً مضت من عمري... وأنا أنظر إلى نظراتك وضحكاتك... وهمساتك... وحزنك... وغضبك... كل هذا أثر بي.. أتذكرك بين الفينة والأخرى... أتذكرك في كل حين... أتذكرك مع كل صلاة وصيام.... أتذكرك في كل صباحٍ ومساء.... أتذكرك وأتذكرك....

أتذكرك وأنت تلاعب الأحفاد، وترسم البسمة على وجوههم، ويهتفون بأعلى صوتهم:- (جدي كمال... جدي كمال)، صراخ في كل مكان يرجع بي إلى الزمان تتابع الأفكار... وتسلسل الأشعار... وخطك على الأوراق ينادي يا كمال أين أنت من هذا الزمان؟!!

أتذكر خطواتك كأن فارس الزمان قد جاء كي ينقذ الناس من كل داء، فأنت بلسم يوضع على الجرح فيشفى من كل داء....

أتذكر صوتك ينادي، ويعلو في السماء، نعم أتذكر صوتك الجميل الذي ما زال يرنُّ في أذني... أتذكر صوتك عندما تصلي... أتذكر صوتك عندما تدعو الله خيراً.... أتذكر صوتك عندما تناديني ... أتذكر صوتك في تلاوة القرآن... والدعاء في الليل والنهار... فأثرت بي كثيراً... كنت لي الأب الحنون... وأغلى من ذلك... كنت لي الصديق الرفيق... وأكثر من ذلك... كنت لي أخاً صدوقاً وأكثر من ذلك... فعجز لساني عن الكلام... وعجز عقلي عن التفكير... فكنت لي القدوة الحسنة يا رفيق حياتي....

فأحلم لو رجع الزمان إلى الوراء لكنت أسعد إنسانة في العالم، وسأستغل الوقت برؤيتهم والجلوس معهم، فشكراً لك على كل شيء نفعت به أمتك وعائلتك......

حفيدتك: حنين بلال كمال رشيد

سأعيش في جلباب أبي(*)

- **بلال كمال رشيد**

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله يبقى المجد والشرف... أن أبي أمامي أراه حيثما أقف... ها هو الكلام ينتهي إليَّ... ولن ينتهي فيك... هاهم الأوفياء... الأتقياء... متحدثين ومستمعين... يجتمعون على طاعة الله في محبتك... وعلى الوفاء إليك... ها هم ينسجون من عبراتهم عباراتهم... يعزونك فينا... ويعزونا فيك... هاهم يلتقون في بيتك الثاني... في عرينك العمري...حيث كنت يوماً فارس هذا المكان... ها هم يجتمعون... يلتقون على قلب رجلٍ واحد.... قلبك... ليقولوا فيك كلمة الوفاء... يا رجل الوفاء.

ها هو الكلام ينتهي إليَّ... فكيف يمكن للكلمات أن تختزل حباً دام أربعين عاماً... كيف لي أن أسترجع ما كان من كلمات... ومن نظرات... ومن خطوات... كيف لي أن أستعيد سكن الروح ودفء المشاعر؟!!

كيف لي أن أرسم بالكلمات وجهاً ما زلت أراه ناظراً إليّ، ونضراً أراه حين يراني؟!

كيف لي أن أصدق أنك قد مُتَّ يا أبي...!!! وأنت في كل ما أحياهُ حيٌّ... كريمٌ...حنونٌ... معطاء... حتى وأنت هناك تقدمني هنا.

(*) الكلمة التي ألقيت في احتفالية الوفاء للدكتور كمال رشيد الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي مكتب الأردن في يوم السبت ٢٦/٧/٢٠٠٨ في المدارس العمرية عمان- الأردن.

أربعون عاماً عشتها طفلاً... وابناً... وصديقاً... وظلاً... أربعون عاماً تحملني وأحملك... تحملني كنيةً... وأحملك اسماً... تنادى بي... وأنادى بك... أحملك همةً وتحملني هماً... حتى تركتني إلى همٍ ثقيلٍ لا أستطيع له حملاً!!!!

أربعون عاماً... قرأتك في عيون محبيك... رأيتك في قلوبهم كبيراً... جليلاً... وهاهم اليوم يقولون فيك قولاً جميلاً... ويبكون فيك بدراً منيراً...

أربعون عاماً... ما خشيتُ منها إلا يوم الفراق... كُنت أدعو الله أن تكون ساعتي قبل ساعتك... لكني كنتُ أخشى دمعك عليّ... أفلم تخش دمعي عليك يا أبتي؟!!

أبتي... يا أبي... يا قلب قلبي... يا أبي... أتسمعني الآن؟ هل فقدتُ هذا النداء إلى الأبد... يا أبي... هل كبرتُ إلى هذا الحدِّ... حتى لا أكون بلا أمٍ أو أب؟!... يا أبي لقد كنتُ فرحتكما الأولى... فكيف تكونانِ فاجعتي الأولى؟!

هل تراني أودع الشباب... وربيع العمر؛ لأعيش الآن خريفه؟! هل بدأت الأوراق بالاصفرار والتساقط؟!

يا أبي... هل فقدتُ هذا النداء إلى الأبد؟!

يا معشر الأيتام... يا معشر الأيتام... اقبلوا عضويتي بينكم... لا تنظروا إلى طولِ قامتي... لا تنظروا إلى عمري... لا تنظروا إلى الشيب الذي غزا شعري... بل انظروا إلى دمعي السيال... وقلبي المجروح... تابعوا دمعي ومدادي... اقرأوا كلماتي وشعري... ستجدون فيَّ اليُتم الذي تعيشون... ستجدون فيَّ القلب الذي به تنبضون... سأكون لسان حالكم حين تتكلمون...

كثيراً ما كان أبي يردد: أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين... وكنتُ أتمنى أن لا يقوله أمامي... كنتُ أقول يا ليته يصمت عن هذا الحديث...

وصمت...وصمت إلى الأبد... ولكن... وهو يحملُ الرقمين معاً... فمات عن عمرٍ يناهز السبعة والستين عاماً.

يا أبي...

كـم تمنيـتَ أن أكـون أديباً...باحثـاً... أن أخـرج علـى النـاس بمقـالٍ... أو قصيدةٍ...أو بحثٍ... هنا أو هناك... وها أنا أكون... بعد فوات الأوان... أطل على الناس... وأول عهدهم بي رثاء...رثاؤك...فهل أنا وفيٌّ يا أبي؟!

ضحكتَ مني يوماً... سخرتَ.. لأنني كتبتُ الإهداء قبل أطروحة الدكتوراه.. ويا ليتك علمت.. بأن الإهداء كان لك ولأمي.. يا ليتك علمت بأن دراسـتي كلـها لم تكن إلا لتقول لك شكراً.. وها أنت ترحل؛ لتقول لي: شكراً لك يا ابني؛ لأنـك لم نقلها!؟!! فهل أنا وفيٌّ يا أبي؟!

هل كان عليك أن تموت لأكون أنا؟! لأكون هنا؟!

ويستعصي عليَّ الشعر.. وتنأى عني القوافي.. فهل أنا وفيٌّ يا أبي؟!.

لقد رحلت عني إليّ...الآن تسكنني أكثر من أي وقـتٍ مضـى... الآن أشـتاقُ إليك... الآن أستذكر أربعين عاماً... وأستذكر الحـادثَ والألم الـذي ألمّ بنـا... وفي المشفى كنت إلى جانبكَ يا أبي... أضع يـدي في يـدك... أهمـس في أذنـك... أقـرأ عليك بعض أشعارك... أقرأ عليك سلام أصحابك... وكنتُ أعـيش علـى الأمـل بأن تحيا... وتعود إلينا... ما فقدتُ الأمل حتى آخـر لحظـة... وكانـت الفاجعـة... وكان ما كان... ثلاثة أشهر عشناها... ونحن نصـبر ونصـابر... ونـأوي إلى مدونـةِ مأمون جرار الذي كان عنوانها: (الدعاء بالشفاء للدكتور كمال رشيد) وقرأنا فيها محبة الناس لك وتعاطفهم معنا... كُنت أزور المدونة بين الفينة والأخرى... والكـل يدعو لك بالشفاء... حتى دخلت إلى المدونةِ: متحسراً...باكياً... قارئـاً مـن جديـد كلمات الأخوة...

وقارئاً العنوان الأول: (الدعاء بالشفاء) فوجدتني كاتباً:

تمنيت أن أنقل إليكم خبر شفاء الوالد، والآن أنقلها لكم بكل ثقة... لقد شفي والدي من كل أمراضِ الدنيا...لن يشكو بعد اليوم مرضاً... ولن يحمل هماً... ولا غماً... لن يجوع ولن يعرى... لن يشكو نفاقاً... ولا فاقة... ولا غدراً... لن ينام مهموماً... ولا محزوناً... بل ينامُ قرير العين... هادئ البالِ... فقد أصابه عدل الله ورحمته ولن يصيبه مرض... ولن يشقى... بإذن الله الأرحم... ولسوف يعطيه ربي فيرضى.

لقد عشتُ إلى جانب أبي أربعين عاماً... وما عرفته حق المعرفة إلا بعد أن رحل... عرفته في أيام المرضِ والعزاء... عرفته من كلام الأوفياء... كلٌّ يعطيني نبذةً عن إخلاصه... عن تفانيه... عن إنسانيته... رحل وترك لنا إرثاً... كبيراً... عظيماً... نفتخر به... ترك لنا إخوةً يشد بهم الأزر... وعلماً يروى.

يا أبي فقدتكَ وافتقدت بعدك كل شيء... لن أخاف بعد اليوم شيئاً... لن أخشى فراقاً... ولا خسارةً... ولا فاجعة... تهون الفجائع بعد اليوم...

وسأبقى أشدو مع الغرباء وأقرأ وصيتك لي:

" وكان بلال صغيري معي

يداعب لعبته الغالية

فقلت لطفلي الصغير

إذا غبتُ عنك إلى

غير رجعة

فأكمل رسالة سلمى

بخط يديك

وبالدمع من مقلتيك

أعد وجه سلمى إليك

وصل رحماً قطعته السنون...

فسلمى حبيبتنا الغالية

وسلمى الضحيةُ

في كل حين

وأقول سمعاً وطاعة يا أبي... سأكمل رسالة سلمى... بخط يدي... وبالـدمع من مقلتي...فسلمى حبيبتنا الغالية... ولن تكون الضحية أبداً.

لقد قال أحدهم يوماً: لن أعيش في جلبـاب أبـي... أمـا أنـا فـأقول مفتخـراً: سأعيش في جلباب أبي زاهياً... مفتخراً، وماذا أقول بعد يا أبي... وماذا تبقـى لـي من عمر يا أبي؟! سوى هذا الرثاء.... وألقاك...

❊ ❊ ❊

الموت

بقلم: د. كمال رشيد رحمه الله

الموت، هل سمعت هذه الكلمة من غير أن ترتجف أو تخشع، هل تمر على الكلمة كما تمر على غيرها، أم أنها تحرك فيك الوجدان والعقل، وتذهب بك في حسابات معقدة، تخصك في دنياك وأخراك، وتخص من تحب من أبنائك وبناتك وزوجك وأمك وأبيك.

الموت، هو الحقيقة المرة، وهو قاهر اللذات، وهو العدل المطلق، لأنه لا يستثني أحداً من الناس.

وفيم الفرق إذن، الفرق في نوع الموت وفي ما قبل الموت، وما بعد الموت. نعم، تنوعت الأسباب والموت واحد، قد يكون موت تطاول السنوات وتراكمها وأخذها من الجسم، وقد يكون موت مرض واحتساب وصبر، وموت مرض وفجور، وقد يكون موت شهادة، قد يكون موت ظلم وعدوان، وقد يكون موتاً مقترناً بالجريمة.

أما ما قبل الموت، فهو ذلك الشريط الممتد من الأعمال والمنجزات بخيرها وشرها، بضارها ونافعها، بمستقيمها ومعوجّها، بصلاحها وفسادها، وذلك لأن العمر هو مجموع النشاط الإنساني، والإنسان في هذا الامتداد الزماني مسؤول عن كل ما يعمل ابتداء من سن التكليف، فقد يكون الإنسان بجبلته وتكوينه وتربيته واعتقاده وسلوكه عنصر خير ونفع وعطاء لنفسه أولاً، ولأقرب الناس إليه ثانياً، ولمجتمعه وأمته ثالثاً. وقد يكون الإنسان بسني عمره، بتكوينه واعتقاده وسلوكه عنصراً ضاراً مخرباً مفسداً لنفسه وأهله ووطنه، وعلى أقل تقدير. قد يكون عنصر استهلاك لا عطاء، يأخذ ولا يعطي، يسعد ولا يسعد غيره، عالة لا عائلاً، خواء في

اعتقاده وسلوكه وعقله وعمله، وهو بهذا يقترب من العجماوات، بل إن بعض العجماوات تكون منتجة نافعة لغيرها.

هكذا تكون الحياة دار عمل، إن خيراً وإن شراً، إن نفعاً وإن ضرًّا، أما ما بعد الحياة، وما بعد الموت فهو المستقر، وهو الجزاء على ذلك العمل، إذ ليس من العدل أن يستوي الناس في الجزاء، وهم لم يستووا في العمل، وليس من العدل أن يستوي المحسن والمسيء، النافع والضار، المنتج والمستهلك، الشهيد والقعيد، أو الشهيد والعميل، الخؤون لوطنه وأمته.

ليس عدلاً أن تستوي يد تعطي ويد تسرق، عين تسهر على حق الوطن وحق الناس، وعين تسهر لإيذاء الوطن والناس.

وكما تفاوت الناس في الأعمال فقد وجب أن يتفاوتوا في الجزاء، وقد يذهب الإنسان ويمضي من غير أن يدرك الناس فضله وحقه عليهم، فهل يغبن الإنسان فيما فعل وقدم؟ والجواب أن الجزاء الأوفى عند من يستطيع أن يوفي، عند الله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهَدى. ولذلك قالوا "لا يذهب العرف بين الله والناس".

وبالمنجزات والأعمال، وبحسن السيرة والقدوة والمثال، يقاس الرجال. وهناك حكم الناس، وحكم رب الناس، أما حكم الناس فقد يخالطه النقص والهوى، وقد يلابسه الجهل وقصر النظر، وقد يعتريه الظلم والتطفيف، أما حكم الله فهو العدل المطلق وهو الحكم المحكم، الذي لا ينسى شيئاً ولا ينقص حقاً ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ .

ولهذا فإن نفس المؤمن لا تذهب حسرات، إن لم يجد في حياته وبين أهله وناسه ما يستحق من التقدير والجزاء، وهو المغبون إن انتفخ وانتفش، ووجد

التقدير والتمكين في أهله وقومه من غير حق وغير جدارة، ولكن خوفاً من ظلمه واتقاء لشره.

ويكبر الإنسان قدراً ومهابة في الدنيا، ومنزلة وجزاء في الأخرى بمقدار ما عمل، وبنيته فيما عمل، وليس بما قال وادعى، فكيف إذا استطاع بصدق عمله أن يكسب الحسنين، وأن يرقى في الدارين، وأن ينال محبة الناس ومحبة رب الناس؟

أودع زوجتي[1]

د. كمال رشيد

أعتذر للقارئ الكريم، ولصحيفة الدستور الغراء، انقطعت عن الكتابة حيناً، كنت فيها في رحلة مع الموت، ما بين البيت والمستشفى ثم المقبرة، حيث ودعت الزوجة الصالحة الوفية المخلصة أم الرجال، أم بلال.

ومع أن الموت قدر وحق ومآل، ومع أن له وجبة يومية في فلسطين والعراق، إلا أن العين لتدمع، وإن القلب ليخشع، وإنا على فراقك يا أم بلال لمحزونون.

تمــــوت أم بـــــلال   في أحلـــــك الأحـــــوال

وتـــترك البيـــت هشـــاً   مقطـــــع الأوصـــــال

والموت ليس انتهاء وإنما هو انتقال، ويكون العزاء كبيراً، والرجاء عند الله كثيراً عندما يكون المتوفى صاحب رصيد من الخير والفضل والبر والصلاح والتقوى، وهذا ما نشهده فيمن ودعنا، وإذا كانت الحياة لا تخلو من الهنات فإن فضل الله كبير، وعفوه مأمول، وإذا كان من التفات بعد الموت فللأحياء، ليكون في الموت عبرة وموعظة لمن صفا قلبه وعقله وحسن ظنه بالله، أما الجفاة العصاة القانطون من رحمة الله فما الموت عندهم إلا حدث عابر لا يستحق التوقف والتأمل ومحاسبة النفس.

---

(١) جريدة الدستور ٣/ ٧/ ٢٠٠٥م.

موقف الموت يخاطبني ويحاسبني ويستوقفني، ويبصرني، وأرجو أن ينفعني ليكون لي خير معلم. وويل لمن تحجرت قلوبهم، وطال عليهم الأمد. وهنيئاً لمن وجدوا قدرة على الدمعة الصادقة، بكاء على الميت أو على أنفسهم.

يا أيها المفارقون أحبابكم وأبناءكم وذويكم بطعم الشهادة- شهادة الدم وشهادة العلم- طوبى لكم وحسن مآل، ففي موتكم تتجدد الحياة، ويعلو صوت الحق، وبكم بدمائكم تصان الأوطان والأديان والأبدان.

وأنا إذ أترحم على زوجي التي رافقتني أربعين عاماً، وإذ أصبر النفس والأبناء فإني أتوجه بالشكر والتقدير لكل من شارك في التعزية، وهم كثر، وقد كانوا ممن عرفوا الوفاء وعلموه، وقد كانوا فيضاً من الرجال والنساء، ممن عرفت ومن لم أعرف، وقد طوقوني بفضلهم وحسن مسعاهم، وقد علموني "أن الحياة بغير الناس مقبرة".

أيها الزائرون المعزون، طاب مسعاكم، وأحسن الله إليكم، كما أحسنتم إلينا، وجعل خطواتكم وكلماتكم وعبراتكم في ميزان حسناتكم، فنحن لا نستطيع أن نرد الفضل إلا لصاحب الفضل، وهو الذي يقبلكم ويحفظ عليكم أزواجكم وأولادكم وذويكم.

وأنتِ يا من ملأت علينا البيت في الحياة وفي الممات لك منا صادق الوفاء والإخلاص، وصادق الدعاء أن يقبلك في الصالحين وأن يجعلك من أهل جنة النعيم. لك نقول وداعاً، ولك نقول إلى اللقاء.

في وداع الأديب محمد الحسناوي(*)

.... أتحدثُ عن حادث الموت وموضوع الموت، الذي يحوله المسلمون من عزاء وهبوط وانحدار وانهيار وضياع يحولونه إلى الجدّ والعمل والعبرة والموعظة.

مثل هذا المجلس مجلس العزاء لا يتأتى في مجتمع غير إسلامي فهو مجلس عبرة أو مجلس موضوع اجتماعي فيه ما ينفع الناس، يلتقي الناس، يتعارفون ويتحدثون وتصبح مادة الموت مادة للحياة وليست للموت والتباكي والحيرة.

ومن لم يزجره أو لم يعقله حادث الموت فبماذا يزدجر؟ وبماذا يعتبر؟، والرسول ﷺ يقول: "كفى بالموت واعظاً"، فمن لم يتعظ بالموت بمن سيتعظ؟

وكأن الموت يقول للناس تعالوا نتفاهم، لنقول لكم: إن الأمر كله بيد الله، في المنشط والمكره، في الخير والشر، إذا كان استكبار الناس بصحة وقوة، وإذا كان استكبار الناس وغرورهم وعتوهم وانصرافهم عن الحق بالمال أو الولد أو الجاه أو السلطان، فإن الموت يقول للناس: كلٌّ هذا لا يساوي شيئاً، وكل هذا محدود، وكل هذا يحكمه الزمان والمكان والفناء والانتهاء، يموت القوي، ويموت الغني، ويموت الملوك والرؤساء والحكام، ويموت كل من أراد الله له أن يموت، وعندما تأتي ساعة الموت فلا مال ينفع، ولا ولد ينفع، ولا أهل ينفعون، ولا جاه ولا سلطان ولا شيء ينفع إلا مكنون النفس، وما ادخرت هذه النفس من فضل وخير وأجر وعمل طيب.

(*) جزء من الكلمة التي ألقاها الدكتور كمال رشيد في أيام عزاء الأديب محمد الحسناوي في ٤/ ٣/ ٢٠٠٧.

والفائز حقاً هو الذي يفوز بمرضاة الله، أما أصحاب الأرصدة والأموال فقد ماتوا، أما أصحاب العضلات والعنجهية فقد ماتوا، أما أصحاب المال والولد فقد ماتوا، لا يبقى إلا الذي عمله الإنسان بنفسه، أما ما اكتسبه من دنياه فإنه باق في هذه الدنيا، ومن أعجبه هذا الحكم فله ذلك وهو من الفائزين المعتبرين، ومن كابر فعليه وزره وعليه إثمه، وهو الذي سيلقى الله ليسأل في الثنتين: الصحة من أين اكتسبها؟ وكيف أفناها؟ المال من أين اكتسبه؟ وكيف صرفه؟ البنون كيف ربّاهم؟ وكيف نشأهم؟ وكيف تعامل معهم؟ المنصب والجاه كيف جاء وكيف انتهى وكيف تصرف به وهل استغله لخير أم لشر؟.

يبقى السؤال ويبقى الجواب، أما المادة نفسها فإنها تفنى، كل ما ترونه هو مادة، وهو مكتسب وهو إلى الزوال- نحن المسلمين- يجب أن نفهم ونعلم، أن رأس الحكمة مخافة الله سبحانه وتعالى، وما عدا ذلك لا ضامن له ولا ثبات له ولا بقاء له لأنه كالعارية المستردة.

ومن آتاه الله سبحانه الرشد والحكمة والبصيرة فقد استغل ماله للخير، وقد استغل وقته للخير، وقد استغل صحته وجاهه وعلمه فيما ينفع الناس، هذا شأن المسلم كالنحلة التي تصنع العسل وتعطي الناس ما ينفعهم وما هو شفاء لهم.

والمسلم هو الذي يسير على السكة الحديد الصحيح يسير على السكة، وغير المسلم هو الذي يترنح يمنة ويسرة، ويسير على الرصيف، أو يسير على التراب، وهذا هو المعرض للضربات والصدمات، إن الذي يسلم هو الذي يلتزم بمنهج الإسلام الذي يبصر والذي يعلم، كل آلة تصنع وكل سيارة وكل جهاز يصنع يرافقه (كتالوج) أو جهاز أو كتاب يبين طريقة التركيب وطريقة الاستعمال حتى يسلم الإنسان ولا يقطع يده أو إصبعه أو إلخ.

فمن ركب رأسه وركّب الجهاز بالطريقة التي يراها، فإنه يضر نفسه أو أنه يفشل في استعمال هذه الآلة أو الماكنة الاستعمال الصحيح.

ومن استبصر واسترشد فإنه ينظر في (الكتالوج) أو في دليل الاستعمال والتركيب ويهتدي ويعيش على بصيرة ويفيد من آلته، آلة الإنسان جسمه بما فيه من جسد وعقل ونفس وروح وحواس، هذه يجب أن تكون مسخّرة في طاعة الله، ولكن يمكن أن تكون في معصية الله، ولذلك "إنا هديناه النجدين إما شاكراً وإما كفوراً"، كل عضو في جسم الإنسان هو هدية من الله، وهو قابل أن يكون أداة خير ونفع وأجر ومثوبة ينفع صاحبه وينفع من حوله، ويمكن أن يكون أداة شر وضرر وتدمير، فاختر أيها الإنسان أو أيها المسلم كيف تتعامل مع هذا الجسد، مع هذه الحواس، مع هذه الروح، مع هذا العقل، مع هذه المشاعر، لتسلم وتعيش حياتك الخمسين أو الستين أو السبعين وأنت على هدىً وبصيرة، راضياً مرضياً من رب العالمين.

السيرة الذاتية للدكتور كمال رشيد

١- **الاسم:** كمال عبد الرحيم رشيد عبد الفتاح.

المولد: ١٩٤١ الخيرية/ يافا/ فلسطين

الحالة الاجتماعية: متزوج

٢- **الشهادات العلمية:**

١. الدكتوراه في علوم اللغة العربية وآدابها/ الجامعة الأردنية ١٩٩٦ بتقدير ممتاز/ موضوع الرسالة "الترادف في القرآن الكريم".

٢. الماجستير في علوم اللغة العربية وآدابها/ جامعة محمد الخامس/ الرباط/ موضوع الرسالة "الزمن النحوي في اللغة العربية".

٣. الليسانس في علوم اللغة العربية وآدابها/ جامعة دمشق ١٩٦٦.

٣- **الخبرات الوظيفية:**

١. التعليم.

٢. مديرية المناهج والكتب المدرسية/ وزارة التربية والتعليم١٧عاماً حتى ١٩٩١.

٣. رئيس تحرير صحيفة الرباط الأسبوعية ١٩٩٢- ١٩٩٤.

٤. عضو هيئة التدريس/ جامعة الزرقاء الأهلية١٩٩٤- ١٩٩٥.

٥. المدير العام للمدارس العمرية ١٩٩٥ حتى وفاته عام ٢٠٠٨م.

٤- الدورات العلمية:

١. ١٩٧٣ دورة إعداد برامج الإذاعة المدرسية/ جامعة لندن.

٢. ١٩٨٦ دورة تحرير الكتب المدرسية والمواد التعليمية A.C.T.L.E.M جامعة لندن.

٣. ١٩٨٨ دورة لزيارة دور النشر البريطانية الكبرى لونجمان- أكسفورد- هاينمان. وهذه الدورات بالتعاون بين وزارة التربية والتعليم والمجلس الثقافي البريطاني في عمان.

٥- خبرات أخرى:

١. عضو الفريق الوطني لتأليف كتب اللغة العربية

٢. رئيس اللجنة الأردنية المحلية لمشروع "الرصيد اللغوي" التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٣. ممثل الأردن في لجنة البرامج التعليمية الموجهة للطلبة العرب في الأراضي المحتلة، التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٦- الأنشطة:

١. محاضر في دورات وزارة التربية والتعليم.

٢. محاضر غير متفرغ في جامعة العلوم التطبيقية.

٣. مشارك في ندوات فكرية مختلفة.

٤. مشارك في أمسيات شعرية مختلفة.

٥. مشارك في مهرجان المربد الشعري عام ١٩٨٧.

٦. ممثل الأردن في مؤتمر تطوير تعليم اللغة العربية الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود بالتعاون مع المنظمة العربية ١٩٨٤.

٧. كاتب في جريدة الدستور منذ عام ١٩٩٧.

٧- مع الإذاعة والتلفزيون:

١. إعداد وتقديم برامج دينية من إذاعة عمان لسنوات طويلة.

٢. إعداد وتقديم ٣٠ حلقة من برنامج ديني في إذاعة الكويت ١٩٨٥.

٣. إعداد مسلسل من عدة حلقات في إذاعة عمان "أشواق في المحراب".

٤. إعداد مسلسل من عدة حلقات لعدة سنوات من إذاعة عمان بعنوان "الأسرة السعيدة" تمثيليات اجتماعية.

٥. إعداد برامج تعليمية للمناهج الأردنية في مبحث اللغة العربية في إذاعة عمان.

٦. إعداد وتقديم برامج تلفزيونية تعليمية لمبحث اللغة العربية/ التلفزيون الأردني.

٨- اللجان والجمعيات:

١. عضو رابطة الأدب الإسلامي- مرحلة التأسيس- وعضو الهيئة الإدارية سابقاً.

٢. عضو رابطة الكتاب الأردنيين سابقاً.

٣. عضو هيئة إدارية في اتحاد الكتاب الأردنيين سابقاً.

٤. عضو جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية.

٥. عضو الجمعية الوطنية الأردنية للوقاية من حوادث الطرق.

٦. عضو جمعية العفاف.

٧. عضو جمعية مكافحة التدخين.

٨. عضو شرف في رابطة أدباء الشام.

٩- كاتب صحفي- كاتب إذاعي- كاتب للأطفال – مؤلف- شاعر- باحث.

للأطفال	للكبار
١- أناشيدي – الجزء الأول	١- شدو الغرباء – ديوان شعر
٢- أناشيدي- الجزء الثاني	٢- عيون في الظلام – ديوان شعر
٣- الخطأ والصواب في الصحة	٣- القدس في العيون – ديوان شعر
٤- الخطأ والصواب في السلوك	٤- نسائم الوطن – ديوان شعر
٥- سليم في المزرعة	٥- تأملات في السنة
٦- أخلاق إسلامية	٦- أشواق في المحراب
٧- عادات حميدة	٧- مجالس الإيمان
٨- في المسجد	٨- الزمن النحوي في اللغة العربية
٩- أبو خليل والحلم الجميل	
١٠- نحب هؤلاء	
١١- أقوال ومواقف	

الفهرس

رثاء الشعراء

ويتواصل الأوفياء

الموت في نظر د. كمال رشيد